زاد الخطيب

من خطب فضيلة الشيخ حمود بن حميد الصوافي

الجزء الثاني

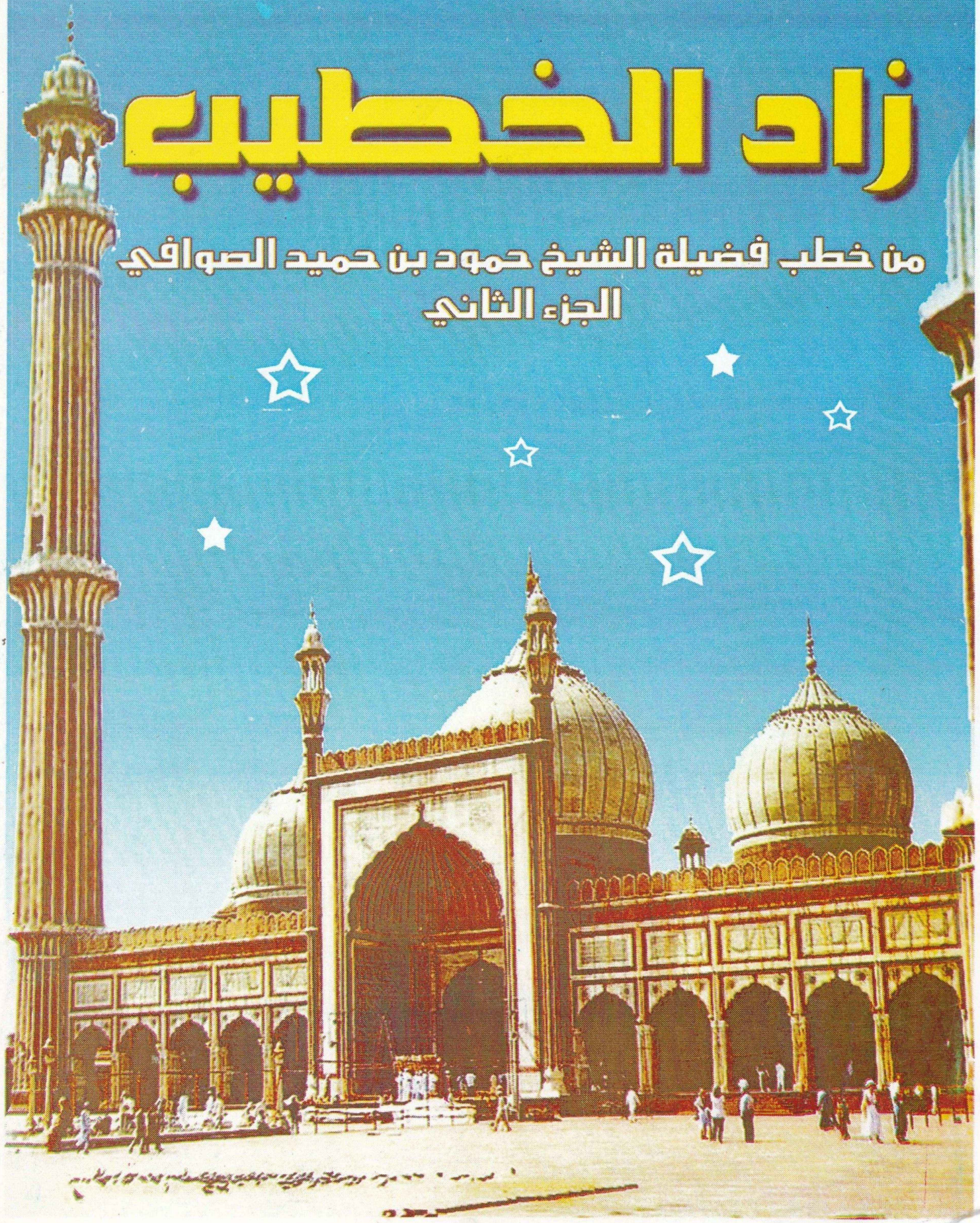

زاد الخطيب

من خطب فضيلة الشيخ حمود بن حميد الصوافي

الجزء الثاني

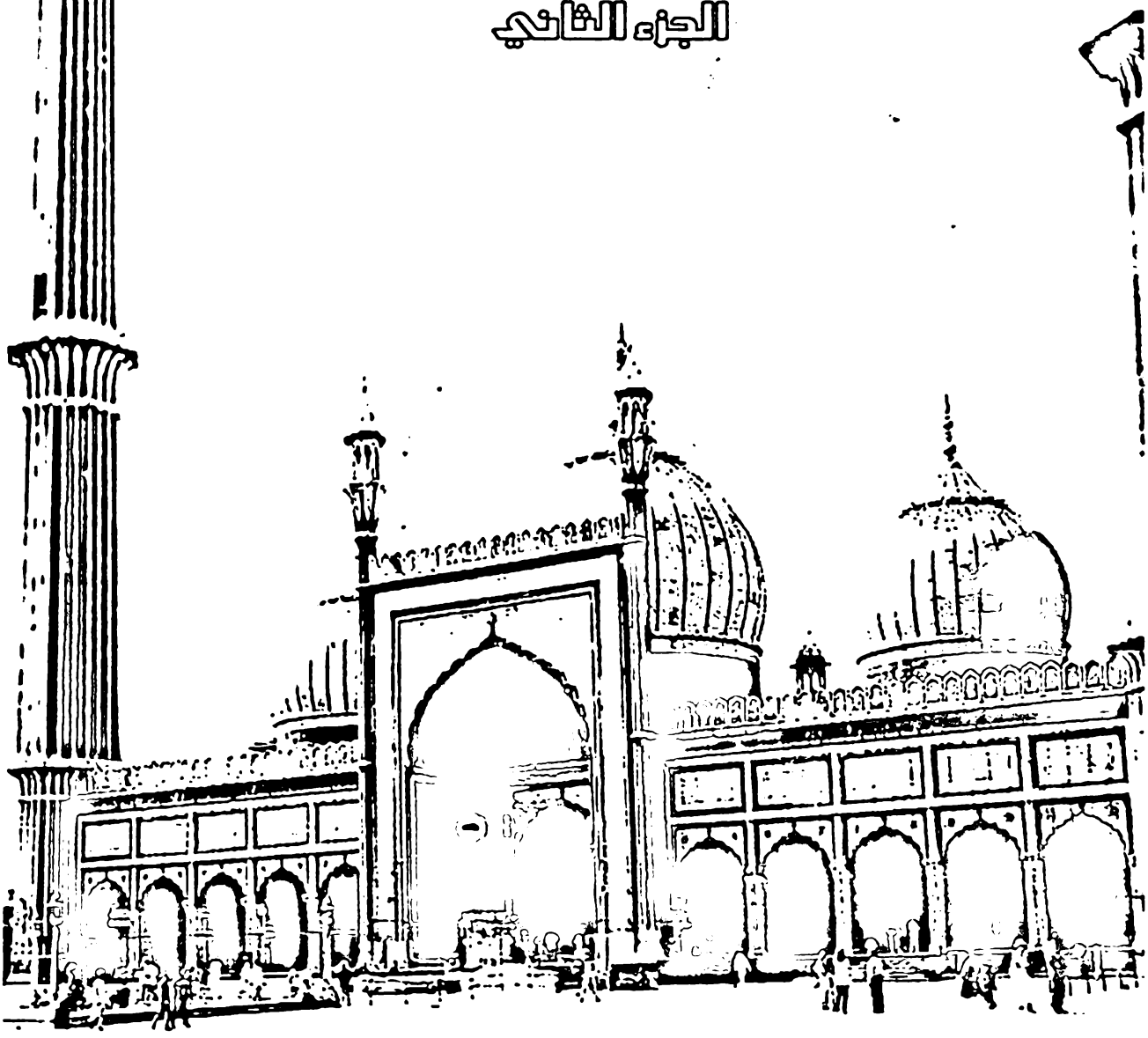

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على النبيّ الهادي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فهذا هو الجزء الثاني من زاد الخطيب ، الذي يتضمن جزءا من خطب فضيلة شيخنا الجليل/ حمود بن حميد الصوافي ، حفظه الله ورعاه ، وأمدّه بالصحة والعافية ، ويأتي بعد صدور الجزء الأول منه قبل ما يزيد على سنة من الآن .

وإن ممّا يميّز هذا الجزء ـ الجزء الثاني ـ الذي بين أيدينا أن الشيخ اعتنى فيه بالجانب التعليمي أكثر ما يكون ، فتناول العديد من المسائل العقدية والفقهية بالشرح والتفصيل ، والإيضاح والتبيين ، مستخدماً في ذلك العبارة الواضحة التي لا غموض فيها ، والأسلوب السهل السلس الذي لا تعقيد به ، رابطا كلّ ذلك بالواقع الذي نعيش فيه ، ولعلّ تناول مثل هذه الموضوعات ـ العقدية والفقهية ـ بمثل هذا الطرح قليلٌ فيما بين أيدينا من خطبٍ إن لم يكن نادرا .

وبالإضافة إلى الجانب التعليمي ، تعرض الشيخ ـ حفظه الله ـ للعديد من القضايا الاجتماعية ، فبيّن الأدواء ، وطرح العلاج المناسب لها ، وعلاجُ الشيخ لمثل هذه القضايا أمرٌ لا يخفى على كلّ من استمع شيئا من خطبه ودروسه .

وفي الختام لا يسعني إلا أن أسأل الله تعالى أن يحفظ شيخنا الجليل ، ويبارك لنا في عمره ، إنه وليّ ذلك والقادر عليه ، والحمد لله ربّ العالمين .

فهد بن علي بن هاشل السعدي

الأحد : ٢٤ شعبان ١٤٢٧هـ/ ١٧ سبتمبر ٢٠٠٦م

Fahadalsadi@naseej.com

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الجنة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، وتفيضُ الخيراتُ وتُبعث المسرّاتُ ، وتُنالُ الجنّاتُ وتُرفعُ الدرجاتُ ، سبحانه وعدَ مَن أطاعَه دارَ النعيمِ ، وتوعَّدَ مَن عصاه نارَ الجحيمِ ، وهو العليُّ العظيمُ ، ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (يونس/٢٥) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنه مما يجبُ على كلِّ مكلَّفٍ اعتقادُه ومعرفتُه هو أن يعلمَ أنَّ للهِ ثواباً لا يشبِهُه ثوابٌ ، وأنَّ ثوابَه الجنّةُ ، وأنّها ثوابُ اللهِ لأوليائِه في الآخرةِ ، لا انقطاعَ لدوامِها ، وهي قصورٌ وأنهارٌ ، وبساتينُ وأشجارٌ ، فيها ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة/١٧) دارٌ لا يفنى شبابُها ، ولا يبلى نعيمُها ، ولا يتكدّرُ صفْوُها ، ولا يتغيّرُ سرورُها ، ولا يتنغّصُ عيشُها ، ﴿ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴾ (الرعد/٣٥) وقد جاءَ وصفُ نعيمِ الجنة وسرورِها ، وأنسِها وحبورِها ، وأنهارِها وقصورِها ، وأشجارِها ودورِها ، وخدمِها وحُورِها في كثيرٍ من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقاً قَالُواْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة/٢٥) ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ (الرعد/٢٣ ـ ٢٤) ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلاَمٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾

(الحجر/٤٥ ــ ٤٨) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا * أُوْلَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف/٣٠ ــ ٣١) ﴿ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ *ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ (الزخرف/٦٨ ــ ٧٣) ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ (محمد/١٥) ﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ * عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ * مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ * يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا *إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا * وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾ (الواقعة/١٣ ــ ٣٨) ﴿ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا *

مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإنسان/١٢ ــ ٢٢) إلى غيرِ ذلك من الآياتِ القرآنيةِ التي تصفُ الجنّةَ ، وما أعدّه اللهُ سبحانه وتعالى فيها من النعيمِ الدائمِ لأوليائه وأصفيائه ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران/١٦ ــ ١٧) ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران/١٣٤ ــ ١٣٥) ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ * وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ * وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ (الرعد/٢٠ ــ ٢٢) بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ *وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ

لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (المؤمنون/١ ــ ١١) ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران/١٨٥) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (الحشر/١٨ ــ ٢٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

عن أبي هريرةَ قالَ : قلْنا : يا رسولَ اللهِ ، حدِّثْنا عن الجنّةِ ، ما بناؤها ؟ قالَ: « لبنةُ ذهبٍ ، ولبنةُ فضةٍ ، وبِلاطُها المسكُ ، وترابُها الزعفرانُ ، وحصباؤها اللؤلؤُ والياقوتُ ، مَن يدخلها ينعم ولا يأس ، ويخلد ولا يموت ،

لا تبلى ثيابُه ، ولا يفنى شبابُه » ، وعن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « إنَّ في الجنّةِ مائةَ درجةٍ ، أعدَّها اللهُ للمجاهدين في سبيلِه ، بين كلِّ درجتينِ كما بين السماءِ والأرضِ ، فإذا سألتُم اللهَ فاسألوه الفردوسَ ؛ فإنّه وسَطُ الجنّةِ وأعلى الجنّةِ ، ومنه تُفجّرُ أنهارُ الجنّةِ ، وفوقه عرشُ الرحمنِ » ، وعن أبي سعيدٍ الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « إنَّ أهلَ الجنّةِ يتراءون الغُرَفَ فوقهم كما تتراءون الكوكبَ الدُّريَّ الغابرَ في الأُفُقِ من المشرقِ أو المغربِ » ، قالوا : تلكَ منازلُ الأنبياءِ ، لا يبلغُها غيرُهم ، قالَ : « بلى والذي نفسي بيدِه ، رجالٌ آمنوا باللهِ ، وصدّقوا المرسلين » ، وعن أبي مالكٍ الأشعري أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « إنَّ في الجنّةِ غُرَفاً يُرى ظاهرُها مِن باطنِها ، وباطنُها مِن ظاهرِها ، أعدَّها اللهُ لَمن أطعمَ الطعامَ ، وأدامَ الصيامَ ، وصلّى باللّيلِ والناسُ نيامٌ » ، وعن زيد بنِ أرقم أنَّ النبي ﷺ قالَ : « والذي نفسُ محمّدٍ بيدِه ، إنَّ أحدَهم ـ يعني أهلَ الجنّةِ ـ لُيعطى قوّةَ مائةِ رجلٍ في الأكلِ والشربِ ، والجماعِ والشهوةِ ، تكونُ حاجةُ أحدِهم رشْحاً ، يفيضُ من جلودِهم كرشْحِ المسكِ ، فيضمُرُ بطنُه » ، وعن أنسٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « لَقابُ قوسِ أحدِكم أو موضع قدمٍ في الجنّةِ خيرٌ من الدنيا وما فيها ، ولو أنَّ امرأةً مِن نساءِ أهلِ الجنّةِ أَطلعت إلى الأرضِ لأضاءت ما بينهما ، ولملأتْ ما بينهما ريحاً ، ولنصيفُها ـ يعني الخمارَ ـ خيرٌ من الدنيا وما فيها » ، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « إذا دخلَ أهلُ الجنّةِ الجنّةَ ينادي مُنادٍ : إنَّ لكم أن تصحُّوا ، فلا تسقموا أبداً ، وإنَّ لكم أن تحيَوا ، فلا تموتوا أبداً ، وإنَّ لكم أن تشبُّوا ، فلا تهرموا أبداً ، وإنَّ لكم أن تنعمُوا ، فلا تيأسوا أبداً ، وذلكم قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ

أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف/٤٣) ، وعن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ: « قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ، ولا أذنٌ سمعتْ ، ولا خطَرَ على قلبِ بشرٍ ، واقرؤوا إنْ شئتم ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة/١٧)

أيُّها المسلمون :

إنَّ هذه الدارَ الباقيةَ التي سمعتم بعضَ أوصافِها في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ وفي أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ ؛ إنّها لجديرةٌ بأن يعملَ لها العاملون ، ويُسارعَ إليها المسارعون ، ويتنافسَ فيها المتنافسون ، ولحقيقةٌ بأن يبذُلَ الإنسانُ نفسَه بالأعمالِ الصالحةِ التي تقرِّبه إليها ، ويفنىَ عمرُه جاهداً في طلبِها ، زاهداً في هذه الحياةِ الفانيةِ ، فلا خيرَ بعده النارُ بخيرٍ ، ولا شرَّ بعده الجنّةُ بشرٍّ ، وكلُّ نعيمٍ دونَ الجنّةِ حقيرٌ ، وكلُّ بلاءٍ دون النارِ عافيةٌ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة/١٠٥) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكـــــرُ النّارِ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي وعدَ من أطاعَه دارَ النعيمِ ، وتوعّدَ مَن عصاه نارَ الجحيمِ ، سبحانه يقولُ في كتابِه المبينِ : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾ (النساء/١٤) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّه حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِه وصحْبِه ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِه ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِه إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنّه مما يجبُ على كلِّ مكلّفٍ معرفتُه واعتقادُه هو أن يعلمَ أنَّ للهِ عقاباً لا يشبهُه عقابٌ ، وأنَّ عقابَه النارُ ، وهو عذابُ اللهِ لأعدائه في الآخرةِ ، لا انقطاعَ لدوامها ، وهي نارٌ حاميةٌ ، سوداءُ مظلمةٌ ، لا يطفأُ لهبُها ، ولا يخمدُ جمرُها ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم/٦) ، أعدَّها اللهُ سبحانه وتعالى للعصاةِ من المشركين والفاسقين ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (المؤمنون/١٠٤) ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ ﴾ (إبراهيم/٥٠) ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ (الرحمن/٤٤) ﴿ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (الحج/٢٠ ــ ٢١) ﴿ يُسْحَبُونَ * فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ (غافر/٧١ ــ ٧٢) ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ (فاطر/٣٦) ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ (الزخرف/٧٥) ، طعامُهم فيها الضريعُ والزقّومُ ، وشرابُهم الصديدُ والحميمُ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة/٣٩) .

وقد حذّرَنا اللهُ سبحانه وتعالى من النارِ ، وأخبرَنا عن أنواعِ عذابِها في كتابِه العزيزِ بما تتفطّرُ منه القلوبُ ، وتتفجّرُ منه الأكبادُ ، حذّرَنا منها ، وأخبرَنا عن أنواعِ عذابِها رحمةً منه بنا ؛ لنكونَ منها على حذرٍ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء/٥٦) ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾

(إبراهيم/١٥ ـ ١٧) ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف/٢٩) ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴾ (طه/٧٤) ﴿ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ (الحج/١٩ ـ ٢٢) ﴿ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا * وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا * لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴾ (الفرقان/١١ ـ ١٤) ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ * قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر/٧١ ـ ٧٢) ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الملك/٦ ـ ١١) ﴿ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَآبًا * لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَاء

وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ (النبأ/٢١ ــ ٣٠) .

وقد أخبرَنا اللهُ سبحانه وتعالى عن الكثيرِ من أحوالِ أهلِ النارِ ، مِن أنّهم يلعنُ بعضُهم بعضاً ، ويلومُ بعضُهم بعضاً ، وأنّ لهم فيها زفيراً وشهيقاً ، وأنّهم يستغيثون فلا يُغاثون ، ويستجيرون فلا يُجارون ، ويستنصرون فلا يُنصَرون ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة/١٦٦ ــ ١٦٧) ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ * وَقَالَتْ أُولاَهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف/٣٨ ــ ٣٩) ﴿ وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ * وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم/٢١ ــ ٢٢) ﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ * قَالَ الَّذِينَ

اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ * وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ (غافر/٤٧ ـ ٥٠) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ، واتقوا النارَ التي ﴿ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم/٦) ، واعلموا أنّه لا شرَّ بعده الجنّةُ بشرٌ ، ولا خيرَ بعده النارُ بخيرٍ ، وكلُّ نعيمٍ دون الجنّة حقيرٌ ، وكلُّ بلاءٍ دون النارِ عافيةٌ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران/١٨٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/١٨ ـ ٢٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكُلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

لقد أخبرَنا اللهُ سبحانه وتعالى عن أهلِ النارِ بأنّهم يدعون اللهَ سبحانه وتعالى بأدعيةٍ ، فيجيبُهم عزَّ وجلَّ عليها بأجوبةٍ كلُّها سلبيةٌ ، تؤيّسُهم وتقنّطُهم من رحمةِ اللهِ ، يقولون ﴿رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ (إبراهيم/٤٤) ، فيجيبُهم اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ﴾ (إبراهيم/٤٤ ـ ٤٥) ، ويقولون ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ (المؤمنون/١٠٦ ـ ١٠٧) ، فيجيبُهم اللهُ سبحانه وتعالى بقولِه : ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ (المؤمنون/١٠٨) ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ (السجدة/١٢) ، فيجيبُهم اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٤) ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ (فاطر/٣٧) ، فيجيبُهم اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر/٣٧) ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ (غافر/١١) ، فيجيبُهم اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ ذَلِكُم

بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴾ (غافر/١٢) ، ويقولون : ﴿ يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴾ (الزخرف/٧٧) ، فيجيبُهم اللهُ عزَّ وجلَّ بقوله : ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (الزخرف/٧٧ ــ ٧٨) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتأهّبُوا للسفرِ ، وأعدُّوا الجوابَ للحسابِ ، وقدِّمُوا الزادَ للمعادِ ، وبادروا إلى الأوبةِ قبل انغلاقِ بابِ التوبةِ ، فكلُّ ابنِ آدم خطّاءٌ ، وخيرُ الخطّائين التوّابون ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مِن مشاهدِ يومِ القيامةِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي له ميراثُ السماواتِ والأرضِ ، وإليه مرجعُ كلِّ أحدٍ في يومِ العرضِ ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ (مريم/٩٣ ـ ٩٥) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾ (الحج/٦ ـ ٧) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنكم بين يدَي اللهِ موقوفون ، وعلى أفعالِكم محاسَبون ، وبأعمالِكم مجزيّون ، وعلى تفريطِكم نادمون ، فاستعِدُّوا رحِمَكم اللهُ لذلك الموقفِ العصيبِ ، ولذلك اليومِ الرهيبِ ، ذلك اليوم الذي يجمعُ اللهُ فيه الأوّلين والآخرين لفصلِ القضاءِ ، ذلك اليوم الذي يقومُ فيه الناسُ لربِّ العالمين ، ذلك اليوم يومُ التغابُنِ ، يومُ الحسرةِ والندامةِ ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران/٣٠) ، ذلك اليوم الذي لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنونَ ، إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ، ففي ذلك اليومِ تتقطّعُ جميعُ الصِّلاتِ ، وتنحلُّ جميعُ الروابطِ ، فلا تبقى فيه صلةُ واصلٍ ، ولا قرابةُ قريبٍ ، ولا صداقةُ صديقٍ إلا ما كان من الصِّلاتِ بين عبادِ اللهِ المتقين ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ﴾ (المؤمنون/١٠١) ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف/٦٧) ، وفي ذلك اليومِ لا تجزي نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ، ولا تنفعُ فيه شفاعةُ الشافعين ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ (البقرة/٤٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة/٢٥٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ

وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان/٣٣) .

وفي ذلك اليومِ يفرُّ المرءُ من أقربِ الناسِ منه ، وأحبِّ الناسِ لديه ، وأعزِّهم عنده ، إذْ كلُّ إنسانٍ مشغولٌ بنفسه في ذلك اليومِ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (عبس/٣٤ ــ ٣٧) ، وفي ذلك اليومِ يُحشرُ الناسُ حفاةً عراةً غُرْلاً ، ويتخلى عن الإنسانِ كلُّ شيءٍ في هذه الحياةِ إلا ما قدَّمَه من عملٍ صالحٍ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (الأنعام/٩٤) ، وفي ذلك اليومِ يكونُ الهولُ الأعظمُ ، والفزعُ الأكبرُ ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج/١ ــ ٢) ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل/٨٧) .

وفي ذلك اليومِ يُحشرُ أولياءُ اللهِ المتقون آمنين مطمئنين ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (الأنبياء/١٠٣) ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس/٦٢ ــ ٦٤) ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ

فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴾ (النمل/٨٩) ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر/٦١) ، وفي ذلك اليومِ تبيضُّ وجوهٌ ، وتسودُّ وجوهٌ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (آل عمران/١٠٦ ـ ١٠٧) ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (عبس/٣٨ ـ ٤٢) ، وفي ذلك اليومِ يستنطقُ اللهُ جوارحَ الإنسانِ ، فتشهدُ عليه ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ (النور/٢٤ ـ ٢٥) ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (يس/٦٥) ، وفي ذلك اليومِ يتخبّطُ الظلمةُ في الظلماتِ حتى أنَّ أحدَهم لا يرى طريقَه ، لا يعرفُ أينَ يذهبُ ، ولا كيفَ يسيرُ ، ويُحشرُ المؤمنون الصالحون والنورُ يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ *يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ

﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد/١٢ ـ ١٥)، «بشّرِ المشّائين إلى المساجدِ في الظُّلَمِ بالنورِ التامِّ يومَ القيامة»، «اتقوا الظُّلْمَ؛ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامةِ».

وفي ذلك اليومِ يندمُ المفرِّطون، ويتحسّرُ المقصِّرون، ويتمنّون أن يرجعوا إلى هذه الحياةِ ليعملوا عملاً صالحاً، ولكن هيهات، فقد فاتَ الأوانُ ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ * وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾ (إبراهيم/٤٤ ـ ٤٥) ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة/١٢) ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر/٢٣ ـ ٣٠) وفي ذلك اليومِ يُبعثُ آكلُ الربا مجنوناً يتخبّطُ ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ (البقرة/٢٧٥)، وفي ذلك اليومِ يُحشرُ المتكبِّرون أمثالَ الذَّرِّ، يطؤهم الناسُ، يغشاهم العذابُ من كلِّ مكانٍ، وفي ذلك اليومِ يؤتى بالقاضي مغلولَ اليدينِ، إمّا أن يفُكَّ عنه عدلُه، وإمّا أن يهويَ به جَورُه في النارِ.

وفي ذلك اليومِ لا تزولُ قدما عبدٍ حتى يُسألَ عن أربعٍ: عن عُمُرِه فيمَ أفناه؟ وعن شبابِه فيمَ أبلاه؟ وعن مالِه من أينَ اكتسبَه؟ وفيمَ أنفقَه؟ وعن

علمه ماذا عملَ به ؟ وفي ذلك اليومِ يُبعثُ الشهيدُ ، وجرحُه يثعبُ دماً ، اللونُ لونُ الدمِ ، والريحُ ريحُ المسكِ ، وفي ذلك اليومِ تُنشَرُ الدواوينُ ، فيُؤتى السعيدُ كتابَه بيمينه ، فيفرح فرحاً كثيراً ، ويُؤتى الشقيُّ كتابَه بشماله ، فيحزن حزناً شديداً ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (الإسراء/١٣ ــ ١٤) ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ (الإسراء/٧١) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهْ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ * يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ * لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ ﴾ (الحاقة/ ١٩ ــ ٣٧) ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾ (الإنشقاق/٧ ــ ١٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ

فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/١٨ ــ ٢٠) ، نفعني الله وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

ما أفظعَ مشاهدَ يومِ القيامةِ التي يجلّيها لنا القرآنُ الكريمُ ، فالسماواتُ تتشقّقُ ، والأجرامُ الفلكيّةُ تتناثرُ ، والأرضُ تُدكُّ دكّاً دكّاً ، والجبالُ تُنسفُ نسفاً ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ (طـه/١٠٥ ــ ١١١) ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ *

وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (الحاقة/١٣ ـ ١٨) ﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (القيامة/٧ ـ ١٣) ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (إبراهيم/٤٨ ـ ٥٢) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ، وتأهّبوا للسفرِ ، وأعدّوا الجوابَ للحساب ، وقدِّموا الزادَ للمعاد ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ * أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الزمر/٥٤ ـ ٥٨) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين الخـــوفِ والرجاءِ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (غافر/٣) ، سُبحانَهُ يقولُ في كتابِهِ الكريمِ ﴿ نَبِّىءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴾ (الحجر/٤٩ ــ ٥٠) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، قصم الجبارين ببطشه بعد أمنه ، وأسبل على العاصين ستره بمنه ، وتكفل بأرزاق البرايا إنسه وجنه ، ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنّه مما يجبُ على كلِّ مكلّفٍ أنَ يكونَ راجياً لثوابِ اللهِ تعالى ، وخائفاً مِن عقابِه ؛ فإنَّ الخوفَ والرجاءَ جناحانِ ، بهما يطيرُ المقرَّبون إلى كلِّ مقامٍ محمودٍ ، ومطيّتانِ بهما يُقطعُ مِن طُرُقِ الآخرة كلُّ عقبةٍ كؤودٍ ، كما أنَّ الخوفَ صوتٌ زاجرٌ لعامّةِ المؤمنين عن المعصيةِ ورادعٌ عنها ، والرجاءُ داعٍ إلى الطاعةِ وباعثٌ عليها ، وطريقُ الخوفِ والرجاءِ هو طريقُ العدلِ بين الطريقين الجائرين : الأمنِ من مكرِ اللهِ ، والإياسِ من روحِ اللهِ ، فمَن غلبَ عليه الرجاءُ حتى فقدَ الخوفَ وقعَ في الأمنِ المحجورِ ، واللهُ تعالى يقولُ : ﴿ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف/٩٩) ، ومَن غلبَ عليه الخوفُ حتى فقدَ الرجاءَ وقعَ في الإياسِ المحرّمِ ، واللهُ تعالى يقولُ : ﴿ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (يوسف/٨٧) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ ﴾ (الحجر/٥٦) ، ومَن ركبَ طريقاً بين الخوفِ والرجاءِ فهو في الطريقِ العدْلِ المستقيمِ الذي هو سبيلُ أولياءِ اللهِ وأصفيائه الذين وصفَهم اللهُ بقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ (الإسراء/٥٧) ، وبقوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء/٩٠) ، وبقوله سبحانه : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (السجدة/١٦) .

وكثيرٌ من الآياتِ القرآنيةِ جمعتْ بين الخوفِ والرجاءِ ؛ إشعاراً بضرورةِ تلازمِهما ، وعدمِ انفرادِ أحدِهما عن الآخرِ بالنسبةِ إلى المسلمِ في كلِّ حالاته ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (غافر/٣) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ * ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ (البروج/١٢ ـ ١٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المائدة/٩٨) ، ويقولُ جلَّ شأنُه : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ ﴾ (الحجر/٤٩ ـ ٥٠) ، ويقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الرعد/٦) ، فبشّرَ سبحانه بالمغفرةِ والصفحِ الجميلِ عن المذنبين ، ثم أخبرَ أنه شديدُ العقابِ بانتقامه من الظالمين ، فقرنَ بين الخوفِ والرجاءِ ؛ ليكونَ العبدُ على الدوامِ خائفاً راجياً ، يفعلُ المأمورَ بقدْرِ المستطاعِ ، ويتركُ المحجورَ ؛ قياماً بطاعةِ اللهِ ، وطمعاً في ثوابه ، وإذا اقترفَ ذنباً لا ييأسُ من روحِ اللهِ ، ولا يقنطُ من رحمةِ اللهِ ، بل يبادرُ بالتوبةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وهذا هو طريقُ المتقين الأوّابين الذين وصفَهم اللهُ بقوله : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران/١٣٤ـ١٣٦) .

أيُّها المسلمون :

إنَّ الرجاءَ لا يكونُ صادقاً حقيقيّاً إلا إذا توفرتْ أسبابُه ، وإلا فهو رجاءٌ كاذبٌ ، واسمُ الغرورِ أحقُّ به ، وأسبابُ الرجاءِ هي الأعمالُ الصالحةُ ، والاحترازُ عمّا يفسِدُها ، والتوبةُ عمّا صدرَ ، ومِن ثَمَّ قيلَ : مَن كانت الحسنةُ تسرُّه ، والمعصيةُ تسوؤه ، ويشتهي التوبةَ ؛ فهو حقيقٌ برجاءِ التوفيقِ ؛ لأنَّ ذلك يدعو إلى التوبةِ ، بل هو أصلُها وطرَفٌ منها ، يقولُ عزَّ مِن قائلٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أُوْلَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللّهِ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة/٢١٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف/١٥٦ ــ ١٥٧) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠) . أمّا رجاءُ المغفرةِ والعفوِ والتقرّبِ من الرحمنِ ، مع الانهماكِ في المعاصي والتمادي فيها ، وعدمِ العزمِ على التوبةِ منها ؛ فهذا هو شأنُ المغرورين الذين خدعَهم الشيطانُ بأمانيِّه وغرورِه ، يقولُ عزَّ مِن قائلٍ : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَآئِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ اللّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الأعراف/٩٧ ــ ٩٩)

، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الأدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لاَّ يَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾ (الأعراف/١٦٩) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ : « الكيِّسُ مَن دانَ نفسَه ، وعملَ لما بعد الموتِ ، والعاجزُ مَن أعطى نفسَه هواها ، وتمنّى على اللهِ الأمانيَّ » ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/ ١٨ ـ ٢٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ الخوفَ والرجاءَ فريضتانِ واجبتانِ على كلِّ مسلمٍ ، فعن ابنِ عباسٍ ـ رضي اللهُ عنهما ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عن

الكبائرِ ؟ فقالَ : «الشركُ باللهِ ، والإياسُ من روحِ اللهِ ، والأمنُ مِن مكرِ اللهِ» ، وروِيَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنّه دخلَ على شابٍّ وهو في الموتِ ، فقالَ : «كيفَ تجدُك ؟» ، قالَ : أرجو اللهَ يا رسولَ اللهِ ، وأخافُ ذنوبي ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «لا يجتمعانِ في قلبِ مؤمنٍ في مثلِ هذا الموطنِ إلا أعطاه اللهُ ما يرجو ، وآمنَه مما يخافُ» ، وروِيَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنّه قالَ : « لو وُزِنَ خوفُ المؤمنِ ورجاؤه بميزان قِسطٍ ـ أي حكمٍ ـ ما زادَ أحدُهما على الآخرِ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واهتدوا بالهدي الراشدِ بالتزامِ الخوفِ والرجاءِ ﴿وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (يوسف/٨٧) ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/١٩ ـ ٢٠) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿ اتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شروط الصلاة : الوضوء

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ البرِّ الكريمِ ، الرؤوفِ الرحيمِ ، ذي الفضلِ والتكريمِ والإحسانِ العميمِ ، سبحانه يقولُ في كتابِه المبينِ : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** ﴾ (البقرة/٢٢٢) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنّ من الأعمالِ التي وردَ الترغيبُ فيها ، والحضُّ عليها ، والتي يمحو اللهُ بها الخطايا ، ويرفعُ بها الدرجاتِ ؛ إسباغَ الوضوءِ على المكارهِ ، والمرادُ بإسباغِ الوضوءِ : إتمامُه وإكمالُه ، واستيعابُ أعضائه بالماءِ الطاهرِ المطلقِ ، والمرادُ بالمكارهِ : المشاقُّ التي تحصلُ للإنسانِ من شدةِ بردٍ ، أو كسلٍ عند النومِ ، أو عجلةٍ عند مهمٍّ ، أو نحوِ ذلك من المشاقِّ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة/٢٢٢) ، ويقولُ سبحانه : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة/١٠٨) ، وعن أبي مالكٍ الحارثِ بنِ عاصمٍ الأشعري قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « الطهورُ شطرُ الإيمانِ » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « ألا أخبرُكم بما يمحو اللهُ به الخطايا ، ويرفعُ به الدرجاتِ : إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ ، وكثرةُ الخطا إلى المساجدِ ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ ، فذلكم الرِّباطُ » قالها ثلاثاً ، وعن أبي هريرةَ قالَ : قالَ النبيُّ ﷺ : « إذا توضأَ العبدُ المسلمُ ، فغسلَ وجهَه خرجَ من وجهِه كلّ خطيئةٍ نظرَ إليها بعينه آخرَ قطرِ الماءِ ، فإذا غسلَ يديه خرجتْ منهما كلّ خطيئةٍ بطشَتها بهما ، ثمَّ كذلك حتى يخرجَ نقيّاً من الذنوبِ » ، وعندما سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ وقيلَ له : يا رسولَ اللهِ ، كيفَ تعرفُ مَن يأتي بعدَك ؟ قالَ : « أرأيتم لو كانَ لرجلٍ خيلٌ غُرٌّ مُحجّلةٌ في خيلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ ، ألا يعرفُ خيلَه ؟ » ، قالوا : بلى ، يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « فإنّهم يأتون يومَ القيامةِ غُرّاً مُحجّلين من أثَرِ الوضوءِ ، وأنا فرطُهم على الحوضِ ، وليُذادنَّ رجالٌ عن حوضي كما يُذادُ البعيرُ الضالُّ ، فأناديهم : ألا هلمَّ ، ألا هلمَّ ، فيقالُ إنّهم قد بدّلوا بعدَك ، فأقولُ فسحقاً فسحقاً » .

أيّها المسلمون :

من أرادَ القيامَ إلى الصلاةِ فعليه أن يتوضّأَ ، إذ لا صلاةَ لمن لا وضوءَ له ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ (المائدة/٦) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « مفتاحُ الصلاةِ الطهورُ ، وتحريمُها التكبيرُ ، وتحليلُها التسليمُ » ، وجاءَ عنه ﷺ : «لا يقبلُ اللهُ صلاةً بغيرِ طهورٍ» ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « لا تُقبلُ صلاةُ مَن أحدثَ حتى يتوضّأَ » ، وعن ابنِ عباسٍ ــ رضيَ اللهُ عنهما ــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا إيمانَ لمن لا صلاةَ له ، ولا صلاةَ لمن لا وضوءَ له ، ولا صومَ إلا بالكفِّ عن محارمِ اللهِ » ، والوضوءُ في اللغةِ : مأخوذٌ من الوضاءةِ ، وهي النظافةُ والحسنُ ، وفي الشرعِ : هو تطهيرُ أعضاءٍ مخصوصةٍ بالماءِ الطاهرِ المطلقِ لرفعِ الحدثِ ، وله شروطٌ وفرائضُ وسننٌ ، فمن شروطِه : النيةُ ، وهي عزمُ القلبِ على فعلِ الوضوءِ ، «إنّما الأعمالُ بالنيّاتِ ، وإنّما لكلِّ امرئٍ ما نوى» ، ومن شروطِه : الماءُ الطاهرُ المطلقُ ، والمرادُ بالطاهرِ : هو الماءُ الذي لم تخالطْه نجاسةٌ ، والمرادُ بالمطلقِ : هو الماءُ الباقي على خلقتِه ، ولم يغيّرْه شيءٌ ، ومن شروطِ الوضوءِ : إزالةُ النجاسةِ من الجسدِ ، فمَن توضّأَ وفي جسدِه نجاسةٌ فوضوؤه غيرُ صحيحٍ ، وأمّا فرائضُه : فهي غسلُ الوجهِ ، واليدين ، ومسحُ الرأسِ ، وغسلُ الرجلين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ (المائدة/٦) ، وأمّا سننُه فمنها : التسميةُ في أوّلِه ، وغسلُ اليدين قبلَ إدخالِهما في الإناءِ ، والسِّواكُ ،

والمضمضةُ ، والاستنشاقُ ، والمبالغةُ فيهما لغيرِ الصائمِ ، ومسحُ الأذنين ، وتخليلُ اللحيةِ ، وتخليلُ الأصابعِ ، والتثليثُ ، والترتيبُ ، والموالاةُ ، والمرادُ بالموالاةِ : عملُ الوضوءِ في وقتٍ واحدٍ بلا فاصلٍ من الزمنِ ، عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لولا أن أشقَّ على أمّتي لأمرتُهم بالسواكِ عند كلِّ صلاةٍ وكلِّ وضوءٍ » ، وقد وردَ : السواكُ مطْهرةٌ للفمِ ، ومرضاةٌ للربِّ ، وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « إذا استيقظَ أحدُكم من نومِه فلا يغمسْ يدَه في الإناءِ حتى يغسلَها ثلاثاً ؛ لأنّه لا يدري أينَ باتت يدُه » ، وعـــن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « لا وضوءَ لمن لم يذكرِ اسمَ اللهِ عليه » ، وعن ابنِ عبّاسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ لُلقيط بنِ صُبْرة : « إذا استنشقتْ فأبلغْ إلا أن تكونَ صائماً » ، ورويَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « إذا توضّأت فمضمضْ » ، وعـــن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « خلّلوا بين أصابعكم في الوضوءِ قبلَ أن تُخلّلَ بمساميرَ من نارٍ » ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « ويلٌ للعراقيبِ من النارِ ، وويلٌ لبطونِ الأقدامِ من النارِ » ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ أنّه توضّأَ مرّةً مرّةً ، فقالَ: « هذا وضوءٌ لا يقبلُ اللهُ الصلاةَ إلا به » ، ثمّ توضّأَ اثنتين اثنتين ، فقالَ: «مَن ضاعفَ ضاعفَ اللهُ له» ، ثمّ توضّأَ ثلاثاً ثلاثاً ، فقالَ : « هذا وضوئي ووضوءُ الأنبياءِ من قبلي » .

وأمّا صفةُ الوضوءِ : فهو أن ينويَ به رفعَ الحدثِ ، ثمّ يقولُ بسمِ اللهِ ، أو يقولُ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ثمّ يغسلُ يديه إلى الرسغين ، ثمّ يتمضمضُ

ويستنشِقُ ثلاثاً ، ويبالغُ في المضمضةِ والاستنشاقِ إلا أن يكونَ صائماً ، ثمّ يغسلُ وجهَه ثلاثَ مرّاتٍ من منبتِ الشعرِ المعتادِ إلى منتهى اللحيةِ في الطولِ ، ومن الأذنِ إلى الأذنِ في العرْضِ ، ثمّ يغسلُ يديه ثلاثاً بدءاً باليمنى ثمّ اليسرى من أطرافِ أصابعِه إلى المرفقين ، ويكونُ المرفقان داخلينِ في الغسلِ ، ثمّ يمسحُ رأسَه بالماءِ ، ويبدأُ بمقدّمِ رأسِه ، ويذهبُ بيديه ماسحاً بهما إلى قفاه ، ثمّ يردُّهما إلى حيثُ بدأَ ، ثمّ يمسحُ أذنيه باطناً وظاهراً ، ثمّ يغسلُ رجليه ثلاثَ مرّاتٍ بادئاً باليمنى ثمّ اليسرى من أطرافِ أصابعِهما إلى الكعبين ، ويكونُ الكعبانِ داخلينِ في الغسلِ ، ومن المرغّبِ فيه أن يقولَ بعد الفراغِ من الوضوءِ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، وأشهدُ أنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، اللهمَّ اجعلني من التوّابينَ ، واجعلني من المتطهرينَ ، سبحانك اللهمّ وبحمدِك ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا أنتَ أستغفرُك وأتوبُ إليك ، وينبغي للمسلمِ أن يحافظَ على وضوئه ، وأن يكونَ على طهارةٍ في كلِّ وقتٍ من أوقاتِه ، وإذا أرادَ النومَ فليتوضّأْ لقولِ النبيِّ ﷺ : « إذا أتيتَ مضجعَك فتوضّأْ وضوءَك للصلاةِ ، ثمّ اضطجعْ على شقِّك الأيمنِ ، ثمّ قلْ : اللهمَّ إني أسلمتُ نفسي إليك ، وفوّضتُ أمري إليك ، ووجّهتُ وجهي إليك ، وألجأتُ ظهري إليك رغبةً ورهبةً إليك ، لا ملجأَ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنتُ بكتابِك الذي أنزلتَ ، وبنبيِّك الذي أرسلتَ ، واجعلْهنّ آخرَ ما تقولُ ، فإن متَّ متَّ على الفطرةِ » ، اللهمَّ اجعلْنا من التوّابين ، واجعلْنا من المتطهرين ، واجعلْنا من عبادِك الصالحين ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ للوضوءِ نواقضَ تنقضُه ، والمرادُ بالنواقضِ : هي المعاني التي ترفعُ حكمَ الطهارةِ ، وبسببِها يجبُ الوضوءُ لمن أرادَ الصلاةَ ، أو الطوافَ ، أو نحوَهما من العباداتِ التي يُشترطُ فيها الوضوءُ ، والمرادُ بانتقاضِ الوضوءِ : انتهاؤه ، وخروجُ المتوضئ عن حكمِه متوضئاً ، فمِن نواقضِ الوضوءِ : كلُّ ما خرجَ من السبيلينِ ، ويُستثنى من ذلك الريحُ الخارجُ من قُبُلِ المرأةِ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : «الوضوءُ من المذْي ، والغسلُ من المنيِّ» ، وجاءَ عنه ﷺ : « إذا شكَّ أحدُكم في صلاتِه فلا ينصرفْ حتى يسمعَ صوتاً ، أو يشمَّ ريحاً » ، ومن نواقضِ الوضوءِ : خروجُ القيءِ والقلَسِ ، والمرادُ بهما : ما تدفعُه الطبيعةُ من الطعامِ أو الشرابِ حتى يجاوزَ الحلقَ ، ويصلَ الفمَ ، فإذا فاضَ من الفمِ فهو القيءُ ، وما لم يفضْ فهو القَلَسُ ، عن جابرِ بنِ زيدٍ ــ رضيَ اللهُ عنه ــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن قاءَ أو قلَسَ فليتوضّأْ » ، ومن نواقضِه : الرُّعافُ ، وهو الدمُ الخارجُ من أصلِ الأنفِ متصلاً ، عن ابنِ عباسٍ ــ رضيَ اللهُ عنهما ــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : «القيءُ

والرعافُ لا ينقضانِ الصلاةَ ، فإذا انفلتَ المصلي بهما توضّأَ ، وبنى على صلاته» ، ومن نواقضِه : الدمُ الخارجُ من جسدِ المتوضئِ إذا كانَ سائلاً أو قاطراً ، ومن نواقضِه : مباشرةُ النجاسةِ إذا كانت رطبةً ، أو كانَ الجسدُ المباشِرُ لها رطباً ، ومن نواقضِه : مباشرةُ الميتةِ البريّةِ الدمويّةِ مطلقاً ، ومن نواقضِه : مباشرةُ الفرْجِ ، عن ابنِ عباسٍ ــ رضيَ اللهُ عنهما ــ قالَ : مَن مسَّ ذكَرَه فليتوضّأْ ، ووردَ أيضاً : أيّما رجُلٍ مسَّ فرْجَه فليتوضّأْ ، وأيّما امرأةٍ مسّت فرْجَها فلتتوضّأْ ، ومن نواقضِه : النومُ حالَ الاضطجاعِ ، أو الاتكاءِ إذا كان الاتكاءُ ثقيلاً بحيثُ لو سقطَ المتكأُ عليه لسقطَ المتكئِ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنّما الوضوءُ على مَن نامَ مضطجعاً » ، ومن نواقضِه : ذهابُ العقلِ بسكْرٍ أو جنونٍ أو إغماءٍ أو نحوِ ذلك ، ومن نواقضِه : ارتكابُ كبيرةٍ من المعاصي ؛ عن ابنِ عباسٍ ــ رضيَ اللهُ عنهما ــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « الغيبةُ تفطّرُ الصائمَ ، وتنقضُ الوضوءَ » ، وقد وردَ : إنَّ الكذبَ والغيبةَ والنميمةَ والأيمانَ الفاجرةَ والنظرَ بشهوةٍ يفطّرْنَ الصائمَ ، وينقضْنَ الوضوءَ ، ويهدمْنَ الأعمالَ هدْماً ، ويسقينَ أصولَ الشرِّ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتعلموا أمرَ دينِكم ، فعملٌ قليلٌ في علْمٍ خيرٌ من عملٍ كثيرٍ في جهلٍ ، و « مَن أردَ اللهُ به خيراً فقّهَه في الدِّينِ ، وألهمَه رشْدَه » ، و « مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنّة » ، « مَن تعلّمَ العلمَ للهِ عزَّ وجلَّ ، وعملَ به ؛ حشرَه اللهُ يومَ القيامةِ آمناً ، ويُرزقُ الورودَ على الحوضِ » ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بسم الله الرحمن الرحيم

الغسل من الجنابة والتيمم

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، الحمدُ لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، سبحانه يقولُ في كتابه المبينِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة/٢٢٢) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ للصلاةِ شروطاً لا بدَّ من فعلِها ، وأنَّ الصلاةَ لا تتمُّ إلا بها ، فمن شروطِ الصلاةِ الطهارةُ من الحدَثِ والخبثِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة/٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ﴾ (التوبة/١٠٨) ، ويقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ (المدثر/٤) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « لا تُقبلُ صلاةٌ بغيرِ طُهورٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « مفتاحُ الصلاةِ الطُّهورُ ، وتحريمُها التكبيرُ ، وتحليلُها التسليمُ » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « الطهورُ شطْرُ الإيمانِ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « لا تُقبلُ صلاةُ مَن أحدثَ حتى يتوضّأَ » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « المنيُّ والمذْيُ والودْيُ ودمُ الحيضةِ ودمُ النفاسِ نجسٌ ، لا يُصلى بثوبٍ وقعَ فيه شيءٌ من ذلك حتى يُغسلَ ويزولَ أثرُه » ، فمن صلّى غيرَ طاهرٍ ، أو بغيرِ طاهرٍ ، أو على غيرِ طاهرٍ ، أو على غيرِ وضوءٍ ، أو كانَ جُنُباً ؛ فصلاتُه غيرُ صحيحةٍ ، لا يقبلُ اللهُ صلاةً إلا بطُهورٍ .

والطهارةُ في اصطلاحِ الفقهاءِ : هي فعلٌ يترتبُ عليه إزالةُ خبَثٍ أو رفعُ حدَثٍ ، فالخبثُ : هو العينُ المستقذرةُ التي أمرَ الشارعُ بنظافتِها ؛ كالقيءِ ، والقلَسِ ، والدمِ ، والبولِ ، والغائطِ ، والمنيِّ ، والمذْي ، والودْي ، إلى غيرِ

ذلك من أنواعِ النجاساتِ ، والحدَثُ : هو معنى قائمٌ بالنفسِ ، مانعٌ من أداءِ بعضِ العباداتِ كالصلاةِ والطوافِ ونحوهما من العباداتِ التي يُشترطُ فيها الطهارةُ ، والحدَثُ قسمانِ : حدَثٌ أصغرُ ، وحدثٌ أكبرُ ، فالحدَثُ الأصغرُ : هو الذي يُوجِبُ إعادةَ الوضوءِ ، والحدَثُ الأكبرُ : هو الذي يُوجِبُ غُسْلَ جميعِ الجسدِ كالجنابةِ والحيضِ والنفاسِ ، فيجبُ الغسلُ من الجنابةِ بسببينِ ، السببُ الأوّلُ : خروجُ المنيِّ ، سواءٌ خرجَ بجماعٍ أو بغيرِ جماعٍ ، في نومٍ أو يقظةٍ ، من ذكَرٍ أو أنثى ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « الوضوءُ من المذْي ، والغسلُ من المنيِّ » ، ويقولُ ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « الماءُ من الماءِ » ؛ أي يجبُ الغسلُ بالماءِ بخروجِ الماءِ ، وهو المنيُّ ، وقد وردَ أنَّ امرأةً سألت رسولَ اللهِ ﷺ فقالتْ : برحَ الخفاءُ يا رسولَ اللهِ ، المرأةُ ترى في النومِ ما يرى الرجلُ ؟ فأجابَها ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ بقولِه : « عليها الغسلُ إذا أنزلت » ، وسألتَه امرأةٌ أخرى فقالتْ : يا رسولَ اللهِ ، إنَّ اللهَ لا يستحي من الحقِّ ، هل على المرأةِ من غُسْلٍ إذا هي احتلمتْ ؟ فأجابَها ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ بقولِه : « نعم إذا رأتِ الماءَ » . السببُ الثاني : التقاءُ الختانينِ ولو من وراءِ حائلٍ ، أنزلَ الرجلُ أو لم يُنزِلْ ، أنزلتِ المرأةُ أو لم تُنزِلْ ، ويتحقّقُ التقاءُ الختانين بغيبوبةِ حشَفَةِ الذكَرِ ، « إذا التقى الختانان وجبَ الغسلُ » .

وصفةُ الغسلِ من الجنابةِ : أن يغسلَ يديه أوّلاً ثلاثَ مرّاتٍ إلى الرسغين ، ثمَّ يزيلَ النجسَ من موضعِه ، ثمّ يتوضّأَ كما يتوضّأُ للصلاةِ ، ثمّ يحثوَ على رأسِه ثلاثَ مرّاتٍ بالماءِ ، ثمَّ يغسلَ جميعَ جسدِه من رأسِه إلى طرَفِ قدميه بادئاً بالأيمنِ ثمّ الأيسرِ ، ولا بدَّ من تعميمِ الجسدِ بالماءِ مع مرورِ اليدِ عليه ، « تحتَ

كلِّ شعرةٍ جنابةٌ ، فبلّوا الشعرَ ، وأنقُوا البَشَرَ » ، وهذا الغسلُ بعينِه يجبُ على الحائضِ إذا طهُرت من حيضِها ، وعلى النُّفساءِ إذا طهُرت من نِفاسِها ، إلا أنَّ المرأةَ في حالِ الغسلِ من الجنابةِ لا يلزمُها أن تنقضَ ظفائرَ شعرِ رأسِها ، بل يكفيها أن تحثيَ عليه ثلاثَ حثياتٍ بالماءِ ، وأن تغمُزَ قرونَها عند كلِّ حثيةٍ ، أما في حالِ الغسلِ من الحيضِ والنفاسِ فعليها أن تنقضَ ظفائرَ شعرِ رأسِها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (البقرة/٢٢٢) ، ولا بدّ من النيةِ لغسلِ الجنابةِ والحيضِ والنفاسِ ، ومن وقعتْ في جسدِه نجاسةٌ ، ولم يعرفْ موضعَها ؛ وجبَ عليه أن يغسلَ جميعَ جسدِه حتى يتيقّنَ إزالتَها ؛ إذْ لا يزولُ اليقينُ إلا بيقينٍ ، اللهمَّ اجعلْنا من التوّابين ، واجعلْنا من المتطهرين ، واجعلْنا من عبادِك الصالحين .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ مما خُصّت به هذه الأمّةُ إباحةَ التيمّمِ عند فقْدِ الماءِ ، أو عند عدَمِ القدرةِ على استعماله ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة/٦) ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : «جُعِلت لي الأرضُ مسجداً ، وترابُها طهوراً» ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ لأبي ذرٍّ : « الصعيدُ الطيّبُ يكفي ولو إلى سنينَ ، فإذا وجدت الماءَ فأمسسْ به جلدَك » ، وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ لأبي ذرٍّ : « التيممُ يكفيك إن لم تجدِ الماء عشرَ سنين » ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ قالَ : خرجَ عمرو بنُ العاصِ إلى غزوةِ ذاتِ السلاسلِ ، وكان أميراً على الجيشِ ، فأجنبَ ، فخافَ من شدةِ بردِ الماءِ ، فتيمّمَ ، فلما قدمَ على رسولِ اللهِ ﷺ أخبرَه أصحابُه بما فعلَ عمرو ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يا عمرو لِمَ فعلتَ ما فعلتَ ؟ ومِن أينَ علِمتَه ؟ » ، فقالَ : يا رسولَ اللهِ ، وجدتُ اللهَ يقولُ ﴿ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (النساء/٢٩) ، فضحكَ النبيُّ ﷺ ، ولم يردَّ عليه شيئاً ، وعن عمّار بنِ ياسر قالَ : اجتنبتُ ، فتمعّكتُ في الترابِ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أمَا يكفيكَ هكذا ؟! ومسحَ وجهَه ويديه إلى الرسغين » ، وعن عمار بنِ ياسر قال : تيمّمنا مع رسولِ اللهِ ﷺ ، فضربنا ضربةً للوجهِ ، وضربةً لليدين .

وقدْ أنزلَ اللهُ سبحانه وتعالى آيةَ التيممِ في السنةِ الخامسةِ عند رجوعِه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ من غزوةِ بني المُصطلقِ في قصةِ عقدِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ ، والتيمّمُ لغةً : هو القصْدُ ، وفي الشرعِ : هو طهارةٌ ترابيّةٌ ضروريّةٌ ، تشتملُ على الوجهِ واليدين ، تُستعملُ عند فقْدِ الماءِ ، أو عند عدَمِ القدرةِ على استعمالِه ، ومن أرادَ التيمّم فليذكرِ اسمَ اللهِ ، ثمّ يضرب الترابَ بكفيه ، فيمسح بهما وجهَه ، ثم يضرب الترابَ مرّةً أخرى ، فيمسح يديه إلى الرسغين ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىَ تَغْتَسِلُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّن الْغَآئِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ (النساء/٤٣) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واشكروه على نعَمه التي أسبغَها عليكم ، وطهِّروا قلوبَكم وألسنتَكم وجوارحَكم ﴿ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (البقرة/٢٢٢) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شروطِ الصلاةِ : دخولُ الوقتِ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه يقولُ في كتابِهِ المبينِ : ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/٢٣٨) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ للصلاةِ شروطاً لا بدّ من فعلها ، وأنَّ الصلاةَ لا تتمُّ إلا بها ، فمن شروطِ الصلاةِ دخولُ الوقتِ ، فإنَّ لكلِّ صلاةٍ من الصلواتِ الخمسِ وقتاً محدوداً ابتداءً وانتهاءً ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء/١٠٣) ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ (هود/١١٤) ﴿ أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ (الإسراء/٧٨) ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (طه/١٣٠) ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ * وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ (الروم/١٧ ـ ١٨) ، فأوّلُ وقتِ الظهرِ : إذا زالت الشمسُ ، وآخرُ وقتِها : إذا صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلَه بعد القدْرِ الذي زالت عليه الشمسُ ، وأوّلُ وقتِ العصرِ : إذا زادَ الظلُّ قليلاً عن آخرِ وقتِ الظهرِ ، وآخرُ وقتِها : إذا اصفرّت الشمسُ ، وقيل : إذا غابَ من الشمسِ قرنٌ ، وأوّلُ وقتِ المغربِ : إذا غابت الشمسُ كلُّها ، وآخرُ وقتِها : إذا غابَ الشفقُ ، وأوّلُ وقتِ العشاءِ الآخرةِ : استكمالُ غيبوبةِ الشفقِ ، وآخرُ وقتِها : نصفُ الليلِ ، وقيل : ثلثُه ، وأوّلُ وقتِ الفجرِ : إذا طلعَ الفجرُ الثاني ، وهو الفجرُ الصادقُ ، وآخرُ وقتِها : إذا طلعَ من الشمسِ قرنٌ ، وأمّا الوترُ : فوقتُه متسعٌ بين صلاةِ العشاءِ وطلوعِ الفجرِ ، عن عبدِالله بنِ عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ : « وقتُ الظهرِ إذا زالت الشمسُ ، وكانَ ظلُّ الرجلِ كطولِه ما لم يحضرِ العصرُ ، ووقتُ العصرِ ما لم تصفرَّ الشمسُ ، ووقتُ صلاةِ المغربِ ما لم يغبِ الشفقُ ، ووقتُ صلاةِ العشاءِ

إلى نصفِ الليلِ الأوسطِ ، ووقتُ صلاةِ الصبحِ من طلوعِ الفجر ما لم تطلعِ الشمسُ ، فإذا طلعت الشمسُ فأمسكْ عن الصلاةِ ، فإنّها تطلعُ بين قرني شيطانٍ » ، وعن جابرِ بنِ عبدِاللهِ أنَّ النبيَّ ﷺ جاءه جبريلُ ـــ عليه السلامُ ـــ فقالَ له : « قمْ فصلِّهْ ، فصلى الظهرَ حين زالت الشمسُ ، ثم جاءه العصرَ ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى العصرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلَه ، ثم جاءه المغربَ ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى المغربَ حين وجبت الشمسُ ، ثم جاءه العشاءَ ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى العشاءَ حين غابَ الشفقُ ، ثم جاءه الفجرَ حين برق الفجرُ ، أو قال سطعَ الفجرُ ، ثم جاءه من الغدِ للظهرِ ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى الظهرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثلَه ، ثم جاءه العصرَ ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى العصرَ حين صارَ ظلُّ كلِّ شيءٍ مثليه ، ثم جاءه المغربَ وقتاً واحداً لم يزُلْ عنه ، ثم جاءه العشاءَ حين ذهبَ نصفُ الليلِ ، أو قال ثلثُ الليلِ ، فصلى العشاءَ ، ثم جاءه حين أسفرَ جدّاً ، فقالَ : قمْ فصلِّهْ ، فصلى الفجرَ ، ثم قالَ : ما بين هذين الوقتين وقتٌ » .

هذه هي أوقاتُ الصلواتِ الخمسِ ، فمن صلى صلاةً قبل دخولِ وقتِها فلا صلاةَ له ، ومن أخّرَ صلاةً من الصلواتِ الخمسِ حتى خرجَ وقتُها متعمِّداً من غيرِ عذرٍ شرعيٍّ ؛ فقد تعرّضَ للوعيدِ الذي توعّدَ اللهُ سبحانه وتعالى به المتهاونين بالصلاةِ ، والمضيّعين لها ، والساهين عنها ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا * إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ (مريم/٥٩ ـــ ٦٠) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ *الَّذِينَ هُمْ عَن

صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (الماعون/٤ ــ ٧) ، وعن عبدِالله بنِ عمرو عن النبيِّ ﷺ أنّه ذكرَ الصلاةَ يوماً ، فقالَ : « من حافظَ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ ، ومن لم يُحافظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ ، وكان يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأبيِّ بنِ خلفٍ » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ ــ رضيَ اللهُ عنه ــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « من فاتَه العصرُ فكأنّما وُتِرَ أهلَه ومالَه » ، وعن جابرِ بنِ زيدٍ قالَ: بينما أنسٌ ذاتَ يومٍ قاعدٌ إذ ذكرَ تعجيلَ الصلاةِ وتأخيرَها فقالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « تلك صلاةُ المنافقين ، يجلسُ أحدُهم يتحدّثُ حتى إذا اصفرّت الشمسُ ، وكانت بين قرنَيْ الشيطانِ ، ثم يقومُ فينقرُ أربعاً ، لا يذكرُ اللهَ فيها إلا قليلاً » ، ومن نسيَ صلاةً أو نامَ عنها فليصلِّها إذا ذكرَها ، فذلك وقتُها إلا إذا استيقظَ أو ذكرَ في وقتٍ لا تجوزُ فيه الصلاةُ ، فإنّه يؤخِّرُها حتى يزولَ المانعُ ، ومن نسيَ صلاةً رباعيةً في الحضرِ ، ثم ذكرَها في السفرِ صلاها ركعتين ، وإن نسيَها في السفرِ ، وذكرَها في الحضرِ صلاها أربعاً ، ومن فسدت عليه صلاةٌ رباعيةٌ في الحضرِ أو أضاعَها قضاها أربعاً حيثما كانَ ، وإن فسدت عليه في السفرِ أو أضاعَها قضاها ركعتين حيثما كانَ ، والمسافرُ إذا صلى صلاةً رباعيةً خلف إمامٍ مقيمٍ ، وفسدت عليه بعد الإحرامِ قضاها أربعاً ، وإن دخلَها بناقضٍ قضاها ركعتين ، ومن فسدت عليه صلاةُ الجمعةِ قضاها ظهراً ، أربعاً إن كانَ مقيماً ، وركعتين إن كانَ مسافراً .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وحافظوا على الصلواتِ الخمسِ ، حافِظوا عليها في أوقاتِها بوظائفِها ، وركوعِها وسجودِها وخشوعِها ، وأدائِها في الجماعةِ في

بيوتِ اللهِ ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ* فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٣٨ ــ ٢٣٩) ، عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: « لو يعلمُ الناسُ ما في الصفِّ الأوّلِ ، ثمّ لم يجدوا إلا أن يتساهموا عليه لتساهموا ، ولو يعلمون ما في التهجيرِ لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتَمَةِ والصبحِ لأتوهما ولو حَبْواً » ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ *وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون/٩ ــ ١١) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا الله تعالى ، واعلموا أنَّ هناك أوقاتاً وردَ النهيُ عن الصلاةِ فيها ، أحدُها: إذا طلعَ قرنٌ من الشمسِ حتى ترتفعَ قدرَ ستةِ أشبارٍ ، ثانيها : إذا غابَ من الشمسِ قرنٌ حتى تغربَ كلُّها ، ثالثُها : إذا وقفت الشمسُ في كبدِ السماءِ في الحرِّ الشديدِ في غيرِ يومِ الجمعةِ حتى تزولَ الشمسُ ، ومن صلّى في هذه الأوقاتِ الثلاثةِ فرضاً أو نفلاً ، أداءً أو قضاءً ؛ فلا صلاةَ له ، وفي حديثِ عقبةَ بنِ عامرٍ : ثلاثُ ساعاتٍ كانَ رسولُ اللهِ ﷺ ينهانا أن نصلّيَ فيهنَّ ، وأن نقبرَ فيهنَّ موتانا : حينَ تطلعُ الشمسُ بازغةً حتى ترتفعَ ، وحينَ يقومُ قائمُ الظهيرةِ حتى تميلَ الشمسُ ، وحينَ تَضَيَّفُ الشمسُ إلى الغروبِ حتى تغربَ ، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يتحرّى أحدُكم أن يصليَ عند طلوعِ الشمسِ أو عند غروبِها » ، وقد وردَ النهيُ عن صلاةِ التطوّعِ بعد صلاةِ العصرِ حتى تغربَ الشمسُ ، وبعد صلاةِ الفجرِ حتى تطلعَ الشمسُ ، وبعد طلوعِ الفجرِ إلا ركعتي الفجرِ ، فعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا صلاةَ بعد صلاةِ العصرِ حتى تغربَ الشمسُ ، ولا صلاةَ بعد صلاةِ الفجرِ حتى تطلعَ الشمسُ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة/٤٥ ـ ٤٦) ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً * مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً ﴾ (النساء/١٤٢ ـ ١٤٣) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتآمروا بالمعروف ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢) ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شروط الصلاة : اللباس الطاهر الساتر

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه جعلَ الصلاةَ عمودَ الدِّينِ وأمرَ بالمحافظةِ عليها في كتابِه المبينِ ، فقالَ وهو أصدقُ القائلين : ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ** ﴾ (البقرة/٢٣٨) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ للصلاةِ شروطاً لا بدَّ من فعلِها ، وأنَّ الصلاةَ لا تتمُّ إلا بهـا ، فمن شروطِ الصلاةِ : اللباسُ الطاهرُ الساترُ الحلالُ ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف/٢٦) ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ (الأعراف/٣١) ، وأقلُّ ما تصحُّ به الصلاةُ من اللباسِ ثوبٌ طاهرٌ ساترٌ عورةَ مصلٍّ وصدرَه وظهرَه وعاتقيه ومنكبيه وعضديه ، عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ النبيُّ ﷺ : « لا يصلي أحدُكم بالثوبِ الواحدِ ليسَ على عاتقيه منه شيءٌ » ، وعن أبي هريرةَ قالَ : سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عن الصلاةِ في ثوبٍ واحدٍ؟ فقالَ : « أو كلُّكم يجدُ ثوبين ؟ » وعن عبادةَ بنِ الصامتِ قالَ : خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ ، وعليه جبّةٌ من صوفٍ شامية ضيقةُ الكمّين ، فصلى بها ، وليسَ عليه غيرُها . وأما المرأةُ فيجبُ عليها سترُ جميعِ جسدِها ما عدا وجهِها وكفّيها ، فقدْ وردَ عنه ﷺ : « لا يقبلُ اللهُ صلاةَ حائضٍ إلا بخمارٍ » ، ورويَ عن أمِّ سلمةَ أنّها سُئِلت عمّا تصلي فيه المرأةُ من الثيابِ ؟ فقالت : تصلي في الدِّرعِ والخمارِ السابغِ الذي يسترُ ظهورَ قدميها .

فمن صلى وهو مكشوفُ العورةِ مع القدرةِ على سترِها فسدت صلاتُه وإن كانَ ناسياً ، ومن صلى بالثوبِ الذي يشِفُّ ، أو بالثوبِ الذي يصِفُ فسدت صلاتُه ، والثوبُ الذي يشِفُّ : هو الذي فيه خللٌ من رقّةِ عملِه ، تُبصَرُ منه

العورةُ ، والثوبُ الذي يصِفُ : هو الثوبُ الرقيقُ الذي يلصَقُ بالعورةِ ، فيصِفُ صِغَرَها وكِبَرَها ، ومن لم يجدْ إلا هذين الثوبين جمعَهما ، وصلى بهما معاً ، وإن لم يمكنْه إلا أن يصليَ بأحدِهما قدَّمَ الثوبَ الذي يصِفُ على الثوبِ الذي يشِفُّ . ولا يُغطّي المصلي وجهَه ، ولا يتلثمُ ؛ رجلاً كانَ أو امرأةً ، ويُشترَطُ في لباسِ الصلاةِ أن يكونَ طاهراً ، فمن صلى بثوبٍ فيه شيءٌ من النجاساتِ فسدت صلاتُه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ (المدثر/٤) ، وعن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « المنيُّ والمذْيُ والودْيُ ودمُ الحيضةِ ودمُ النفاسِ نجَسٌ ، لا يُصلى بثوبٍ وقعَ فيه شيءٌ من ذلك حتى يُغسَلَ ويزولَ أثرُه».

ولا يُصلى بالثوبِ المغصوبِ ، ولا بثوبٍ فيه صورةٌ ذاتُ روحٍ ، فعن عبدِالله بنِ عمرَ قالَ : مَن اشترى ثوباً بعشرةِ دراهمَ ، وفيه درهمٌ حرامٌ ؛ لم يقبلِ اللهُ عزَّ وجلَّ له صلاةً ما دامَ عليه ، ثم أدخلَ أُصبُعيه في أذنيه ، وقالَ : صُمّتا إن لم يكنِ النبيُّ ﷺ سمعتُه يقولُه ، وعن أبي سعيدٍ قالَ : اشترت عائشةُ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ نُمرُقةً فيها تصاويرُ ، فلما رآها رسولُ اللهِ ﷺ وقفَ بالبابِ ، ولم يدخُلْ ، فلما رأت في وجهِه الكراهيةَ ؛ قالت : يا رسولَ اللهِ ـ صلى اللهُ عليك وسلَّمَ ـ أتوبُ إلى اللهِ وإلى رسولِه مما أذنبتُ ، فقالَ : «ما بالُ هذه النُّمرُقةِ ؟» ، قالت : اشتريتُها لك لتقعدَ عليها وتتوسّدَها ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ أصحابَ هذه الصُّورِ يومَ القيامةِ يُعذَّبون بها في النارِ ، ويُقالُ لهم أحيُوا ما خلقتُم » ، ثمّ قالَ : « إنَّ البيتَ الذي فيه تصاويرُ لا تدخلُه الملائكةُ ـ عليهم السلامُ ـ » ، ولا يصلي الرجلُ بالثوبِ الحرير ، ولا

بشيءٍ من الذهبِ ؛ فإنّهما محرّمانِ على رجالِ أمّةِ محمدٍ ﷺ ، عن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم بهذه الثيابِ البيضِ ، ألبِسوها أحياكم ، وكفّنوا فيها موتاكم ؛ فإنّها خيرُ ثيابِكم ، ولا تكفّنوهم في حريرٍ ، ولا معَ شيءٍ من الذهبِ ؛ فإنّهما محرّمانِ على رجالِ أمّتي ، ومحلّلانِ لنسائِها » ، ولا يصلي الرجلُ وهو مسبلٌ ثوبَه أسفلَ الكعبينِ إزاراً أو قميصاً أو غيرَهما ، وقد وردَ النهيُ عن إسبالِ الثيابِ ، والتحذيرُ منه ، والوعيدُ عليه ، فعن ابنِ عمرَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « الإسبالُ في الإزارِ والقميصِ والعِمامةِ ، من جرَّ شيئاً لم ينظرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا ينظرُ اللهُ يومَ القيامةِ إلى رجلٍ يجرُّ ثوبَه خُيلاء» ، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ أنَّ : « إزرةَ المؤمنِ إلى أنصافِ ساقيه ، ولا جناحَ عليه فيما بينه وبين الكعبينِ ، وما أسفلَ من ذلك ففي النارِ » ، قالَ ذلك ثلاثَ مرّاتٍ ، ولا ينظرُ اللهُ إلى من يجرُّ إزارَه بطَراً ، ولما سمعتْ أمُّ سلمةَ حديثَ الإزارِ قالت : والمرأةُ ؟ يا رسولَ اللهِ ، قالَ : «تُرخيه شبراً» ، قالت : إذاً ينكشِفُ عنها ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « فذراعاً لا تزيدُ عليه » .

ومن حضرته الصلاةُ ، ولم يجدْ إلا ثوباً فيه شيءٌ من النجاساتِ ، ولم يمكنْه غسلُه ؛ صلى به ، ولا إعادةَ عليه ، ومن حضرته الصلاةُ ، ولم يجدْ إلا ثوبَ حريرٍ ؛ صلى به ، ولا إعادةَ عليه ، ومن حضرته الصلاةُ ، ولم يجدْ ما يستترُ به ؛ صلى قاعداً ، واستترَ بما يقدرُ عليه من شجرٍ ، أو ترابٍ ، أو نحوِ ذلك ، ويومي للركوعِ والسجودِ ، وقيل : يصلي قائماً ، ويركعُ ويسجدُ ﴿ وَمَا

جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج/٧٨) ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة/١٨٥) ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (البقرة/٢٨٦) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ : « إذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه ، وإذا أمرتُكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتُم » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتعلّموا أمرَ دينِكم ، وتمسّكوا بتعاليمِه ، عَضّوا عليها بالنواجذِ ، وإياكم ومُحدثاتِ الأمورِ ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢) ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

رُويَ عن عبدِاللهِ بنِ عمرَ قالَ : رأى رسولُ اللهِ ﷺ عليَّ ثوبينِ معصفرينِ ، فقالَ : « إنَّ هذه من ثيابِ الكفّارِ ، فلا تلبسْها » ، وعن جابرِ بنِ زيدٍ قالَ : بلغني عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ قالَ : نهاني رسولُ اللهِ ﷺ عن لبسِ القُسيِّ ، وعن

لبسِ المُعصفَرِ ، وعن خاتمِ الذهبِ ، وعن قراءةِ القرآنِ في الركوعِ والسجودِ ، وعن ابنِ عباسٍ قالَ : رأى رسولُ اللهِ ﷺ خاتماً من ذهبٍ في يدِ رجلٍ ، فنزعَه ، فطرحَه ، وقالَ : « يعمدُ أحدُكم إلى جمرةٍ من نارٍ ، فيضعُها في يـــدِه » ، فقيل للرجلِ بعدما ذهبَ رسولُ اللهِ ﷺ : خذْ خاتمَك ، انتفعْ به ، فقالَ : لا ، واللهِ لا آخذُه أبداً وقد طرحَه رسولُ اللهِ ﷺ ، وعن أبي هريرةَ أنَّ النبيَّ ﷺ لعنَ الرجلَ يلبسُ لبسَ المرأةِ ، والمرأةُ تلبسُ لبسَ الرجلِ ، وعن ابنِ عباسٍ قـــالَ : لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ المتشبهاتِ من النساءِ بالرجالِ ، والمتشبِّهين مـــن الرجـــالِ بالنساءِ .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـــاكُمْ عَنْـــهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (الحشر/٧) ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُـــمْ فِـــي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب/٢١) ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِـــعْ غَيْـــرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَـــصِيرًا ﴾ (النـــساء/١١٥) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُـــونَ لَهُـــمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب/٣٦) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَـــمَ أَجْـــرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمـــل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من شروط الصلاة : المكان الطاهر ، واستقبال القبلة ، والنية

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه جعلَ الصلاةَ عمودَ الدِّينِ وأمرَ بالمحافظةِ عليها في كتابِهِ المبينِ ، فقالَ وهو أصدقُ القائلين : ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة/٢٣٨) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ للصلاةِ شروطاً لا بدَّ من فعلِها ، وأنَّ الصلاةَ لا تتمُّ إلا بهـا ، فمن شروطِ الصلاةِ : البقعةُ الطاهرةُ الصالحةُ للصلاةِ عليها ، فمن صلّى على فراشٍ متنجِّسٍ أو في أرضٍ متنجِّسةٍ من غيرِ عذرٍ شرعيٍّ فلا صلاةَ له ، وهناك أمكنةٌ وردَ النهيُ عن الصلاةِ فيها ، فعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا صلاةَ في المقبرةِ ، ولا في المنحرةِ ، ولا في معاطِنِ الإبلِ ، ولا في قارعةِ الطريقِ » ، وعن ابنِ عمرَ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ قـالَ : نهـى رسولُ اللهِ ﷺ أن يُصلى في سبعةِ مواطنَ : في المزبلةِ ، والمجـزرةِ ، والمقـبرةِ ، وقارعةِ الطريقِ ، وفي الحمّامِ ، وفي معاطِنِ الإبلِ ، وفوق ظهـرِ بيـتِ اللهِ ، فالمقبرةُ بتثليثِ الباءِ : هي البقعةُ التي دُفِنَ فيها الأمواتُ ، والمزبلةُ بفتحِ البـاءِ وضمِّها : هي المكانُ الذي يكونُ فيه الزِّبْلُ ، وهو السمادُ ، والمرادُ بها هنـا : المكانُ الذي يُلقى فيه كلُّ شيءٍ من القاذوراتِ وغيرِها ، والمنحـرةُ : هـي الموضعُ الذي تُنحَرُ فيه الإبلُ ، وتُذبَحُ فيه البقرُ والشاءُ ، والمجزرةُ : هي موضعُ الجزْرِ ، وهو الذبحُ والنحرُ ، وفسّرَها بعضُهم : بأنّها مجتمَعُ الفرثِ من موضعِ الجزْرِ ، وفسّرَها آخرون : بأنّها المكانُ الذي يصِلُ إليه موجُ البحرِ ثم يجـزُرُ ، والحمّامُ : هو المكانُ الذي يُحرَّرُ فيه الماءُ ويُقصَدُ للاغتسالِ فيه ، مأخوذٌ مـن الحميمِ ، وهو الماءُ الحارُّ ، والمرادُ بمعاطنِ الإبلِ : مبارِكُها ، والمـرادُ بقارعـةِ الطريقِ : وسطُه ، وهي الطريقُ الذي يقرعُه الناسُ والدوابُّ بأرجلِهم ، ونُهِيَ

عن الصلاةِ فيه خوفَ التلوّثِ بالنجاسةِ ، أو لئلا يشتغلَ المصلي بكثرةِ المارّين ، والمرادُ بظهرِ بيتِ اللهِ : سطحُ الكعبةِ ، فإنَّ المصليَ على ظهرِ الكعبةِ لم يستقبلِ بصلاتِه القبلةَ ، ورُويَ أنَّ الإمامَ جابرَ بنَ زيدٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ رأى رجلاً من الحجَبَةِ يُصلي على ظهرِ الكعبةِ ، فقالَ : مَن المصلي ؟! لا قِبلةَ له ، وكان ابنُ عباسٍ في ناحيةِ المسجدِ ، فسمعَ قولَه ، أو أُخبِرَ عنه ، فقالَ : إنْ كانَ جابرُ بنُ زيدٍ في شيءٍ من البلدِ ؛ فهذا القولُ منه .

والصلاةُ تجوزُ في كلِّ مكانٍ طاهرٍ ما عدا الأمكنةَ التي وردَ النهيُ عن الصلاةِ فيها لقولِ النبيِّ ﷺ : « جُعِلت لي الأرضُ مسجداً ، وترابُها طهوراً » ، وقولِه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « حيثُما أدركتْك الصلاةُ فصلِّ » ، ولا تجوزُ الصلاةُ في الأرضِ المغصوبةِ ، ولا يُصلى في موضعٍ غيرِ مستقرٍّ ؛ بحيثُ لا يتمكّنُ المصلي من أداءِ أركانِ الصلاةِ فيه .

أيُّها المسلمون :

إنَّ أشرفَ مكانٍ تُؤدّى فيه الصلاةُ هو المسجدُ ، فالمساجدُ هي أحبُّ البقاعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ، « أحبُّ البقاعِ إلى اللهِ مساجدُها ، وأبغضُ البقاعِ إليه أسواقُها » ، والمساجدُ هي بيوتُ اللهِ في أرضِه ، ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا** ﴾ (الجن/١٨) ، وفي الحديثِ القدْسيِّ : « إنَّ بيوتي في أرضي المساجدُ ، وإنَّ زوَّاري فيها هم عمّارُها ، فطوبى لعبدٍ تطهّرَ في بيتِه ، ثمّ زارني ، فحقٌّ على المزورِ أن يُكرِمَ زائرَه » ، ومعنى كونِ المساجدِ بيوتَ اللهِ ؛ أي معاهدَ عبادتِه ، ومنازلَ أداءِ فرائضِه وقرباتِه ، ومحالَّ رحماتِه وبركاتِه ، ومَألَفاتِ عبادِه الصالحين من الإنسِ والجنِّ والملائكةِ ، وقد وردَ الحضُّ على

الصلاةِ في المسجدِ وملازمتِه والتردّدِ إليه ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلا في المسجدِ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « بشِّرِ المشّائين في الظُّلَمِ إلى المساجدِ بالنورِ التامِّ يومَ القيامةِ » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ : «ألا أخبرُكم بما يمحو اللهُ به الخطايا ، ويرفعُ به الدرجاتِ : إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ ، وكثرةُ الخطا إلى المساجدِ ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ ، فذلكم الرِّباطُ» قالَها ثلاثاً ، وجاءَ عنه ﷺ : « سبعةٌ يُظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ورجلٌ متعلِّقٌ قلبُه بالمسجدِ إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليه ، ورجلانِ تحابَّا في اللهِ اجتمعا وتفرّقا على ذلك ، ورجلٌ تصدّقَ بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُه ما أنفقت يمينُه ، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ حُسنٍ وجمالٍ فقالَ : إني أخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ففاضت عيناه بالدموعِ من خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ » .

أيُّها المسلمون :

ومن شروطِ الصلاةِ : استقبالُ القبلةِ ، وهي الكعبةُ المشرّفةُ ، فمن صلى على غيرِ القبلةِ متعمِّداً من غيرِ عذرٍ شرعيٍّ فلا صلاةَ له ، وعلى المصلي أن يعرفَ الأدلةَ التي تدلُّ على القبلةِ من نحوِ طلوعِ الشمسِ وغروبِها ، وطلوعِ القمرِ وغروبِه ، ومعرفةِ الجهاتِ إلى غيرِ ذلك ممّا لا يمكنُه معرفةُ القبلةِ إلا به ، ومن لم يعرفِ القبلةَ سألَ مَن يجدُه ، وجازَ له تصديقُ مَن أخبرَه إذا اطمأنَّ قلبُه إلى قولِه ولو كانَ فاسقاً ، ومن تحيّرَ في القبلةِ ولم يجدْ مَن يخبرُه تحرّى جهتَها وصلى إلى نحوِها ، ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ

شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/١٤٤) ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة/١٥٠) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتفقّهوا في دينِكم ، تعلّموا أمورَ دينِكم ، « تعلّموا العلمَ ؛ فإنَّ تعلّمَه قربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتعليمَه لمن لا يعلمُه صدقةٌ ، وإنَّ العلمَ ليترِلُ بصاحبِه في موضعِ الشرفِ والرفعةِ ، والعلمُ زينٌ لأهلِه في الدنيا والآخرةِ » ، « من تعلّمَ العلمَ للهِ عزَّ وجلَّ ، وعملَ به ؛ حشرَه اللهُ يومَ القيامةِ آمناً ، ويُرزَقُ الورودَ على الحوضِ » « من أرادَ اللهُ به خيراً فقّهَه في الدِّينِ ، وألهمَه رشدَه » ، « من سلكَ طريقاً يلتمِسُ فيه علماً سهّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنّةِ » ، « عملٌ قليلٌ في علمٍ خيرٌ من عملٍ كثيرٍ في جهلٍ » ، فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْيِ كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ولِيُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ

والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ من شروطِ الصلاةِ التي لا تتمُّ إلا بها هي النيةُ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة/٥) ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « إنّما الأعمالُ بالنياتِ » ، ونيةُ الصلاةِ : هي القصدُ بالقلبِ إلى فعلِها أداءً لما افترضَه اللهُ عليه طاعةً للهِ ولرسولِه محمدٍ ﷺ ، فيقصدُ بقلبِه أداءَ ذلك الفرضِ بعينِه ، ناوياً لأدائِه بجميعِ فرائضِه وسُننِه ، ملاحِظاً لعددِ ركعاتِه ، مخلِصاً في عبادتِه لربِّه ، لا يريدُ بها غيرَ وجهِه ، وكذلك يفعلُ في السُّننِ والنوافلِ ، مع القصدِ إلى السنّةِ أنّها سنّةٌ ، ومع القصدِ إلى النافلةِ أنّها نافلةٌ .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة/٤٥ ـ ٤٦) ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/٢٣٨) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الصـــــلاة وكيفيتها

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سُبحانَهُ يقولُ في كتابِهِ المبينِ : ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (البقرة/٤٣) ويقولُ : ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (البقرة/٤٥) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديهِ ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ عمودَ الدِّينِ وركنَه العظيمَ هو الصلاةُ التي افترضَها اللهُ سبحانه وتعالى على عبادِه في اليومِ والليلةِ خمسَ مرّاتٍ ، أمرَهم بالمحافظةِ عليها ، وجعلَها عليهم كتاباً موقوتاً ، بها يُناجُون ربَّهم ، وبها يقومون بواجبِ العبوديةِ ، وبها يتغلّبون على الشهواتِ والأهواءِ ، وبها تُغرَسُ في قلوبِهم مكارمُ الأخلاقِ ، وبها يُطهِّرون نفوسَهم من الهلَعِ والجزَعِ ، والشُّحِّ والبخلِ ، وبها يستعينون على مشاقِّ الحياةِ ، فمن أرادَ حياةً هنيئةً وسعادةً أبديّةً فليحافظْ عليها ، وليكثِرْ مناجاةَ ربِّه بها ﴿ **حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ** ﴾ (البقرة/٢٣٨) ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ** ﴾ (العنكبوت/٤٥)

أيُّها المسلمون :

إنَّ الصلاةَ هي عبادةٌ مخصوصةٌ ، مشتمِلةٌ على أقوالٍ وأفعالٍ ، مفتتَحةٌ بالتكبيرِ ، مختَتمةٌ بالتسليمِ بشروطٍ مخصوصةٍ ، وصفتُها أن ينتصِبَ المصلي قائماً بعدما يكونُ طاهرَ البدنِ والثيابِ متطهِّراً من جميعِ الأحداثِ ، فينتصِبَ في بقعةٍ طاهرةٍ صالحةٍ للصلاةِ عليها ، ويستقبِلَ بوجهِه الكعبةَ ، ويقصِدَ بقلبِه أداءَ ذلك الفرضِ بعينِه ناوياً لأدائِه بجميعِ فرائضِه وسننِه ، ملاحِظاً لعددِ ركعاتِه ، مخلِصاً في عبادتِه لربِّه ، لا يريدُ بها غيرَ وجهِه ، وكذلك يفعلُ في السُّننِ والنوافلِ ، مع القصدِ إلى السنّةِ أنّها سنةٌ ، ومع القصدِ إلى النافلةِ أنّها نافلةٌ ،

فإذا كانت الصلاةُ مثلاً صلاةَ الظهرِ نواها فريضةَ الظهرِ أربعَ ركعاتٍ أداءً لما افترضَ اللهُ عليه طاعةً للهِ ولرسولِه محمدٍ ﷺ ، ثم يقيمُ ، ثم يوجِّهُ فيقولُ : سبحانك اللهمَّ وبحمدِك ، تباركَ اسمُك ، وتعالى جدُّك ، ولا إلهَ غيرُك ، إنّي وجهتُ وجهيَ للذي فطرَ السماواتِ والأرضَ حنيفاً ، وما أنا من المشركين ، ثم يكبِّرُ تكبيرةَ الإحرامِ ، فيقولُ : اللهُ أكبرُ ، ثم يسكتُ سكتةً خفيفةً ، ثمّ يستعيذُ سرّاً ، فيقولُ : أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ، ثم يسكتُ سكتةً خفيفةً ، ثم يقرأُ الفاتحةَ إلى آخرِها ، ثم يسكتُ سكتةً خفيفةً ، ثم يركعُ بتكبيرةٍ ، فيضعُ كفّيه على ركبتيه ، ويعتدلُ في ركوعِه اعتدالاً مستوياً ، ويساوي بين ظهرِه ورأسِه ، فلا يرفعُ ظهرَه عن رأسِه ، ولا رأسَه عن ظهرِه ، ويقولُ في ركوعِه : سبحانَ ربّيَ العظيمَ ثلاثَ مرّاتٍ ، ثم يرفعُ رأسَه قائلاً : سمعَ اللهُ لمن حمدَه ، فإذا استوى قائماً قالَ : ربَّنا ولك الحمدُ ، ثم يسجدُ بتكبيرةٍ يقطعُها قبل أن يضعَ جبهتَه على الأرضِ ، ويكونُ سجودُه على سبعةِ أعضاءٍ : القدمانِ ، والركبتانِ ، واليدانِ ، والجبهةُ مع الأنفِ ، ويضعُ يديه بين ركبتيه وأذنيه ، ويجافي بين جنبيه وعضديه مجافاةً لا تضرُّ بغيرِه ، ويقولُ في سجودِه : سبحانَ ربّيَ الأعلى ثلاثَ مرّاتٍ ، ثم يرفعُ رأسَه بتكبيرةٍ يقطعُها قبل أن يستويَ جالساً ، ثم يجلسُ مقدارَ ما يَقِرُّ كلُّ مَفصِلٍ في موضعِه ، ثم يسجدُ سجدةً ثانيةً ، فيفعلُ فيها كما فعلَ في السجدةِ الأولى ، ثم يقومُ للركعةِ الثانيةِ بتكبيرةٍ يقطعُها قبل أن يستويَ قائماً ، ثم يقرأُ الفاتحةَ إلى آخرِها ، ويركعُ ويسجدُ كما تقدّمَ في الركعةِ الأولى ، ثم يقعدُ للتشهّدِ الأوّلِ قعوداً مستوياً ، واقفاً رجلَه اليمنى على بنانِها ، فارشاً رجلَه اليسرى قاعداً عليها ، واضعاً يديه

على فخذيه ، مُوصِلاً أناملَه لأطرافِ ركبتيه ، ويقولُ في قعودِه : التحيّاتُ المباركاتُ للهِ ، والصلواتُ والطيّباتُ ، السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، ثم يقومُ للركعةِ الثالثةِ بتكبيرةٍ يقطعُها قبل أن يستويَ قائماً ، ثم يقرأُ الفاتحةَ إلى آخرِها ، ويركعُ ويسجدُ كما تقدّمَ ، ثم يقومُ للركعةِ الرابعةِ بتكبيرةٍ يقطعُها قبل أن يستويَ قائماً ، ثم يقرأُ الفاتحةَ إلى آخرِها ، ويركعُ ويسجدُ كما تقدّمَ ، ثم يقعدُ للتشهّدِ الأخيرِ قعوداً مستوياً ، ويقولُ في قعودِه : التحياتُ المباركاتُ للهِ ، والصلواتُ والطيّباتُ ، السلامُ عليك أيُّها النبيُّ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه ، السلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصالحين ، أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، اللهمَّ صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ ، وباركْ على محمدٍ وعلى آلِ محمدٍ كما باركتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيمَ في العَالَمين ، إنّك حميدٌ مجيدٌ ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ القبرِ ، وأعوذُ بك من عذابِ جهنّمَ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدجّالِ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والممات ، اللهمَّ إني أعوذُ بك من المأثمِ والمغرمِ ، ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النّار ، ثم يسلّمُ ملتفتاً يميناً وشمالاً قائلاً : السلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ ، فإذا سلّم فقد انتهت صلاتُه ، « تحريمُها التكبيرُ ، وتحليلُها التسليمُ » ، وينبغي له بعد الفراغِ من الصلاةِ أن يأتيَ بالأذكارِ والأدعيةِ المأثورةِ في ذلك ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (الشرح/٧ ــ ٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة/١٥٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المنافقون/٩) ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴾ (البقرة/٢٣٨) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ عمودَ الصلاةِ وروحَها هو الخشوعُ ، فصلاةٌ بلا خشوعٍ كجسدٍ بلا روحٍ ، وكقشرٍ بدون لُبٍّ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ (المؤمنون/١ ـ ٢) ، « لكلِّ شيءٍ عمودٌ ، وعمودُ الدِّينِ الصلاةُ ، وعمودُ الصلاةِ الخشوعُ ، وخيرُكم عند اللهِ أتقاكم » ، والخشوعُ : هو تذلّلُ القلبِ ، وسكونُ الجوارحِ من هيبةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فلينتَبِهْ أولئك الذين إذا دخلوا في صلاتِهم أخذوا يعبثون ، ويلتفتون يميناً وشمالاً وفوقاً وخلفاً كأنّهم لم يبلغْهم ما وردَ من التحذيرِ عن الالتفاتِ ، فعن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إياك والالتفاتَ في الصلاةِ ؛ فإنَّ الالتفاتَ في الصلاةِ هلَكَةٌ » ، وعن أنسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ

رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « ما بالُ أقوامٍ يرفعون أبصارَهم إلى السماءِ في الصلاةِ ، لينتَهُنَّ عن ذلك أو لتُخطَفَنَّ أبصارُهم » ، وقد وردَ : « الالتفاتُ اختلاسٌ يختلسُه الشيطانُ من صلاةِ العبدِ » ، ووردَ أيضاً : « لا يزالُ اللهُ مقبلاً على العبدِ في صلاتِه ما لم يلتفتْ ، فإذا صرفَ انصرفَ عنه » ، وجاءَ أيضاً : «المصلي يتناثرُ على رأسِه الخيرُ من عنانِ السماءِ إلى مفرَقِ رأسِه ، وملكٌ ينادي : لو يعلمُ العبدُ من يُناجي ما التفتَ » ، وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ دخلَ المسجدَ ، فدخلَ رجلٌ ، فصلى ، ثم جاءَ فسلَّمَ على النبيِّ ﷺ ، فردَّ النبيُّ ﷺ عليه السلامُ ، فقالَ : « ارجعْ ، فصلِّ فإنّك لم تصلِّ » ، فصلى ، ثم جاءَ فسلّمَ على النبيِّ ﷺ ، فقالَ : « ارجعْ ، فصلِّ فإنك لم تصلِّ » ثلاثاً فقالَ : والذي بعثَك بالحقِّ ، ما أُحسِنُ غيرَها ، فعلِّمني ، قالَ : « إذا قمتَ إلى الصلاةِ فكبِّرْ ، ثم اقرأْ ما تيسّرَ معك من القرآنِ ، ثم اركعْ حتى تطمئنَّ راكعاً ، ثم ارفعْ حتى تعتدلَ قائماً ، ثم اسجدْ حتى تطمئنَّ ساجداً ، ثم ارفعْ حتى تطمئنَّ جالساً ، ثم اسجدْ حتى تطمئنَّ ساجداً ، ثم افعلْ ذلك في صلاتِك كلِّها » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وحافِظوا على الصلواتِ الخمسِ في أوقاتِها بوظائفِها وركوعِها وسجودِها وخشوعِها وأدائِها في الجماعةِ ، فمن حافظَ على الصلواتِ الخمسِ كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يومَ القيامةِ ، ومَن لم يحافظْ عليها لم يكنْ له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ ، وكان يومَ القيامةِ مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأبيِّ بنِ خلف ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ

يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خير يوم طلعت عليه الشمس

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه فضّلَ يومَ الجمعةِ على سائرِ الأيامِ ، وجعلَه عيداً أسبوعيّاً لأهلِ الإسلامِ ، يتنافسُ فيه المتنافسون ، ويُسارِعُ إليه المُجدّون المشمِّرون ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه ُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ هذه الأمّة ـ أمةَ محمدٍ ﷺ ـ أمّةٌ مرحومةٌ ، أكرمَها اللهُ سبحانه وتعالى ، وجعلَها خيرَ أمّةٍ أُخرِجت للناسِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران/١١٠) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة/١٤٣) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج/٧٧ ـ ٧٨) ، وعن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « خيرُ أمّتي قومٌ يأتون من بعدي ، يؤمنون بي ، ويعملون بأمري ولم يروني ، فأولئك لهم الدرجاتُ العلى إلا من تعمّقَ في الفتنةِ » ، وعن ابنِ عباسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « ما كانَ اللهُ ليجمعَ أمتي على ضلالٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « إنَّ اللهَ حرّمَ الجنّةَ على الأنبياءِ كلِّهم حتى أدخُلَها ، وحرَّمَها على الأممِ حتى تدخلَها أمتي » .

لقدْ ميّزَ اللهُ سبحانه وتعالى هذه الأمّةَ بمزايا ، وخصَّها بخصائصَ متعددةٍ ، ومما خصَّ اللهُ سبحانه وتعالى به هذه الأمّةَ أن اختارَ لها يومَ الجمعةِ عيداً أسبوعيّاً ، يتفرّغون فيه لعبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « نحنُ الآخِرون الأوّلون السابقون يومَ القيامةِ ، بَيْدَ أنهم أُوتُوا الكتابَ من قبلِنا ،

وأُوتيناه من بعدِهم ، هذا يومُهم الذي اختلفوا فيه ، فهدانا اللهُ إليه ، والنـــاسُ فيه لنا تبَعٌ ، اليهودُ غداً ، والنصارى بعد غدٍ ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قـــالَ : «إنَّ مِن أفضلِ أيامِكم يومَ الجمعةِ ، فأكثِروا عليَّ من الـــصلاةِ فيـــه ، فـــإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ » ، وقد بيّنَ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ يومَ الجمعةِ هو خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ ، وأنّه سيدُ الأيامِ وأعظمُها عند اللهِ تعالى ، وأنّه أعظـــمُ عند اللهِ تعالى من يومِ الفطرِ ويومِ الأضحى ، فعن أبي هريرةَ قالَ : خرجتُ إلى الطُّورِ ، فلقيتُ كعبَ الأحبار ، فجلستُ معه ، فحدثني عن التوراةِ ، وحدثتُه عن رسولِ اللهِ ﷺ ، وكان فيما حدّثتُه أن قلتُ له عن رسولِ اللهِ ﷺ : « خيرُ يومٍ طلعت عليه الشمسُ يومَ الجمعةِ ، فيه خلقَ اللهُ آدمَ ـــ عليه الـــسلامُ ـــ ، وفيه تابَ اللهُ عليه ، وفيه أُهبِطَ من السماءِ إلى الأرضِ ، وفيه مـــاتَ ، وفيـــه تقومُ الساعةُ ، وما من دابةٍ إلا وهي مُسيخَةٌ ليلةَ الجمعةَ حتى تطلعَ الـــشمسُ إشفاقاً من الساعةِ إلا الجنَّ والإنسَ ، وفيه ساعةٌ لا يصادفُها عبدٌ مسلمٌ وهـــو قائمٌ يصلي ، يسألُ اللهَ شيئاً إلا أعطاه إيّاه ، قال كعبٌ : في كلِّ سنةٍ يـــومٌ ، قلتُ : بل في كلِّ جمعةٍ يومٌ ، فقرأَ كعبٌ التوراةَ ، فقالَ : صدقَ رســـولُ اللهِ ﷺ ، وعن أبي هريرةَ قالَ : ذكرَ النبيُّ ﷺ يومَ الجمعةِ فقالَ : « فيه سُـــويعةٌ لا يوافِقُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي يسألُ اللهَ شيئاً إلا أعطاه إياه » ، فأشـــارَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى تقليلِها بيدِه .

وفي هذا اليومِ المباركِ فرضَ اللهُ سبحانه وتعالى صلاةَ الجمعةِ ، وأمرَ بالسعيِ إليها ، ونهى عن الاشتغالِ بما يشغلُ عنها ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **يَـــا أَيُّهَـــا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا**

الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة/٩ ـ ١١)، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « لينتهينَّ أقوامٌ عن ودْعِهم الجمعاتِ ، أو ليختمنَّ اللهُ على قلوبِهم ، ثم ليكونُنَّ من الغافلين » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « مَن تركَ ثلاثَ جُمَعٍ تهاوناً طبعَ اللهُ على قلبِه » ، وقدْ وردَ أنَّ : « مَن تركَها جحوداً لها أو استخفافاً بها ، وعليه أميرٌ برٌّ أو فاجرٌ ؛ فلا جمعَ اللهُ له شملَه ، ولا باركَ له في أمرِه ، ألا ولا صلاةَ له ، ألا ولا زكاةَ له ، ألا ولا حجَّ له ، ألا ولا صومَ له ، ألا ولا برَّ له ، ألا ولا جهادَ له حتى يتوبَ ، ومن تابَ تابَ اللهُ عليه » ، فيجبُ على كلِّ مسلمٍ وجبت عليه الجمعةُ أن يحرصَ كلَّ الحرصِ على السعيِ إليها ، والمواظبةِ عليها ، وعدمِ التخلّفِ عنها ؛ فإنَّ حضورَها خيرٌ من الدنيا وما فيها ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « الجمعةُ إلى الجمعةِ كفّارةٌ لما بينهما » ، وجاءَ عنه ﷺ : « من صلى الجمعةَ كانت كفّارةً لما بينها وبين الجمعةِ الأخرى ، وفضلَ ثلاثةِ أيامٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « الصلواتُ الخمسُ ، والجمعةُ إلى الجمعةِ ، ورمضانُ إلى رمضانَ ؛ كفّارةٌ لما بينهنَّ ما اجتُنبت الكبائرُ » ، وقد وردَ : « مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ ، ولبسَ أحسنَ ثيابِه ، ومسَّ من طيبِ أهلِه ، ثم صلى ما كُتبَ له ، ثم أنصتَ حتى يفرغَ الإمامُ من خطبتِه ؛ غُفرَ له ما بينه وبين الجمعةِ الأخرى ، وفضلُ ثلاثةِ أيامٍ » ، ووردَ : « من غسّلَ يومَ الجمعةِ

واغتسلَ ، وبكّرَ وابتكرَ ، ودنا من الإمامِ فأنصتَ ؛ كانَ له بكـــلِّ خطـــوةٍ يخطوها صيامُ سنةٍ وقيامُها ، وذلك على اللهِ يسيرٌ » .

أيُّها المسلمون :

إنَّ للجمعةِ آداباً ينبغي للمسلمِ معرفتُها ، والالتزامُ بها ، والمواظبةُ عليها رجاءَ ثوابِها ، واحتساباً لفضلِها ، هذه الآدابُ سيأتيكم إن شاءَ اللهُ ما تيسّرَ منها في الجمعةِ القادمةِ ، أسألُ اللهَ لي ولكم الصحةَ والعافيةَ ، والتيسيرَ والتوفيقَ ، والتسديدَ والتأييدَ ، والفوزَ والنجاحَ ، والصلاحَ والفلاحَ .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

عن ابنِ عمرَ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « يحضرُ الجمعـــةَ ثلاثةُ نفرٍ : فرجلٌ حضرَها بلغوٍ ، فذلك حظُّه ، ورجلٌ حضرَها بدعاءٍ ، فهو رجلٌ سألَ اللهَ ، إنْ شاءَ أعطاه ، وإنْ شاءَ منعَه ، ورجلٌ حضرَها بإنـــصاتٍ وسكوتٍ ، ولم يتخطَّ رقبةَ مسلمٍ ، ولم يؤذِ أحداً ، فهي كفارةٌ له إلى الجمعةِ

التي تليها ، وزيادةُ ثلاثة أيامٍ ، وذلك أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام/١٦٠) ، فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واحرصوا كلَّ الحرصِ على أداءِ هذه الشعيرةِ ، وتمسّكوا بآدابها وسننها ، وأخلصوا أعمالَكم للهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠) ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢) ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مـــن آداب الجمعـــة

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه أرشدَ الخلقَ إلى أكملِ الآدابِ ، وفتحَ لهم من خزائنِ رحمتِه وجودِه كلَّ بابٍ ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُمِيتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ للجمعةِ آداباً ينبغي للمسلمِ معرفتُها ، والالتزامُ بها ، والمواظبةُ عليها رجاءَ ثوابِها ، واحتساباً لفضلِها ، فمن آدابِ الجمعةِ : عدمُ الاشتغالِ عنها بأيِّ شاغلٍ كانَ ؛ كالبيعِ والشراءِ وسائرِ العقودِ ، وقد نهى اللهُ سبحانه وتعالى عن البيعِ في وقتِ الجمعةِ في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (الجمعة/٩ ــ ١١) ، ومن آدابِ الجمعةِ : الاغتسالُ لها ، فإنَّ الاغتسالَ يومَ الجمعةِ مأمورٌ به ، وردَ الحضُّ عليه ، والترغيبُ فيه ، فعن ابنِ عمرَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « إذا جاءَ أحدُكم الجمعةَ فليغتسِلْ » ، وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « الغسلُ يومَ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ محتَلِمٍ » ، والحكمةُ من مشروعيةِ الاغتسالِ يومَ الجمعةِ إزالةُ الأقذارِ والأوساخِ من البدنِ وما يتصلُ به ؛ تعظيماً لهذا اليومِ ، ودفعاً لما يؤذي الناسَ حالَ الاجتماعِ من الروائحِ الكريهةِ ، والنظافةُ مطلوبةٌ شرعاً وعقلاً ، و«الطهورُ شطرُ الإيمانِ» ، ومن آدابِ الجمعةِ : التجمّلُ بأحسنِ اللباسِ ، والتطيّبُ بما حضرَ من الطيبِ ، والسواكُ ، والتبكيرُ ؛ أي الذهابُ إليها في وقتٍ مبكّرٍ ، فقد رُوِيَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ أنّه قالَ : « حقّ على كلِّ مسلمٍ الغسلُ والطيبُ والسواكُ يومَ الجمعةِ » ، ورُوِيَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ أنّه قالَ في جمعةٍ من الجُمَعِ : « هذا يومٌ جعلَه اللهُ لكم عيداً ،

فاغتسِلوا ، وعليكم بالسواكِ » ، وعن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لولا أن أشقَّ على أمتي لأمرتُهم بالسواكِ عند كلِّ صلاةٍ وكلِّ وضوءٍ » ، وعن ابنِ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « عليكم بهذه الثيابِ البيضِ ، ألبِسوها أحياكم ، وكفِّنوا فيها موتاكم ، فإنّها خيرُ ثيابِكم ، ولا تكفِّنوهم في حريرٍ ، ولا مع شيءٍ من الذهبِ ، فإنّهما محرمانِ على رجالِ أمّتي ، ومحلّلانِ لنسائِها» ، وعن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن اغتسلَ يومَ الجمعةِ كغسْلِ الجنابةِ ، ثم راحَ فكأنّما قرّبَ بدَنةً ، ومن راحَ في الساعةِ الثانيةِ فكأنّما قرّبَ بقرةً ، ومن راحَ في الساعةِ الثالثةِ فكأنّما قرّبَ كبشاً أقرنَ ، ومن راحَ في الساعةِ الرابعةِ فكأنّما قرّبَ دجاجةً ، ومن راحَ في الساعةِ الخامسةِ فكأنّما قرّبَ بيضةً ، فإذا خرجَ الإمامُ حضرت الملائكةُ يستمِعون الذِّكرَ » .

ومن آدابِ الجمعةِ : الإنصاتُ للخطبةِ ، وألا يتكلمَ والإمامُ يخطبُ ؛ فإنَّ الإنصاتَ للخطبةِ واجبٌ على كلِّ حالٍ ، وحكمٌ لازمٌ من أحكامِها ، والكلامُ حالَ الخُطبةِ يُبطِلُ ثوابَ الجمعةِ ، ومن تكلّمَ يومَ الجمعةِ والإمامُ يخطبُ فهو كمثلِ الحمارِ يحملُ أسفاراً ، ومَن قالَ لصاحبِه يومَ الجمعةِ أنصتْ والإمامُ يخطبُ فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعةَ له ، ومن مسحَ الحصى فقد لغا ، والحكمةُ من الأمرِ بالإنصاتِ والنهيِ عن الكلامِ حالَ الخُطبةِ خوفَ الاشتغالِ عن استماعِ الذِّكرِ الذي أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بالسعي إليه في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ (الجمعة/٩) ، ومن آدابِ الجمعةِ : ألا يتخطّى الداخلُ رقابَ الناسِ ، بل يجلس حيث انتهى به الجلوسُ ، فلا يجوزُ له أن يتخطّى رقبةَ مسلمٍ ، ولا يجوزُ له أن يؤذيَ أحداً ، وتخطّي الرقابِ إساءةٌ

للأدبِ ، وإيذاءٌ للمصلين ، واعتداءٌ على السابقين المبكّـــرين ، وقد رويَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ أنّه رأى رجلاً يتخطّى رقابَ الناسِ فقالَ له : «اجلسْ ، فقد آذيتَ وآنيتَ » ، فقولُه : آذيتَ ؛ أي آذيت المصلّين بتخطّي رقابِهم ، وقولُه : آنيتَ ؛ أي تأخّرتَ عن التقدّمِ ، وعن سلمانَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يغتسلُ رجلٌ يومَ الجمعةِ ، ويتطهّرُ ما استطاعَ من طهْرٍ ، ويتطيّبُ ، ويدهنُ من دهنِه ، أو يمسُّ من طيبِ بيتِه ، ثم يخرجُ ، فلا يفرّقُ بين اثنين ، ثم يصلي ما كُتِبَ له ، ثم يُنصِتُ إذا تكلّم الإمامُ إلا غُفِرَ له ما بينه وبين الجمعةِ الأخرى » ، وعن ابنِ عمرَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « يحضرُ الجمعةَ ثلاثةُ نفرٍ : فرجلٌ حضرَها بلغوٍ ، فذلك حظُّه ، ورجلٌ حضرَها بدعاءٍ ، فهو رجلٌ سألَ اللهَ ، إن شاءَ أعطاه ، وإن شاءَ منعَه ، ورجلٌ حضرَها بإنصاتٍ وسكوتٍ ، ولم يتخطَّ رقبةَ مسلمٍ ، ولم يؤذِ أحداً ، فهي كفارةٌ له إلى الجمعةِ التي تليها ، وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ ، وذلك أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ (الأنعام/١٦٠) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واحرصوا كلَّ الحرصِ على أداءِ هذه الشعيرةِ ، وتمسّكوا بآدابِها وسننِها ، وأخلِصوا أعمالَكم للهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠) ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكُلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

إنَّ مِن هديِ النبيِّ ﷺ تعظيمَه ليومِ الجمعةِ ، وتشريفَه له ، وتخصيصَه بعباداتٍ متعددةٍ ، فمن المرغَّبِ فيه في يومِ الجمعةِ : الإكثارُ من الدعاءِ ، فإنَّ فيه ساعةً لا يصادِفُها عبدٌ مسلمٌ وهو قائمٌ يصلي ، يسألُ اللهَ شيئاً ؛ إلا أعطاه إياه ، فينبغي للمسلمِ أن يحرصَ كلَّ الحرصِ على الدعاءِ في هذا اليومِ المباركِ ، لعلَّه يُصادِفُ هذه الساعةَ ، فيفوزَ فوزاً عظيماً ، ومن المرغَّبِ فيه في هذا اليومِ المباركِ : الإكثارُ من الصلاةِ على الرسولِ ﷺ ، فقد رُويَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنَّه قالَ : « أكثِروا عليّ من الصلاةِ يومَ الجمعةِ وليلةَ الجمعةِ » ، وعن أوسِ بنِ أوسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ مِن أفضلِ أيامِكم يومَ الجمعةِ ، فأكثِروا عليَّ من الصلاةِ فيه ، فإنَّ صلاتَكم معروضةٌ عليَّ » ، ومن المرغَّبِ فيه في هذا اليومِ المباركِ : قراءةُ سورةِ الكهفِ ، فقد رُويَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنَّه قالَ : « مَن قرأَ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعةِ سطعَ له نورٌ من تحت قدمِه إلى عنانِ السماءِ ، يضيءُ له يومَ القيامةِ ، وغُفِرَ له ما بين

الجمعتين » ، ومِن هديِ النبيِّ ﷺ في هذا اليومِ المبـــاركِ : قـــراءةُ آلم تنزيـــلُ السجدةِ في الركعةِ الأولى ، وهل أتى على الإنسانِ في الركعةِ الثانيةِ من صلاةِ الفجرِ .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتمسَّكوا بتعاليمِ دينِكم الحنيفِ ، عَـــضُّوا عليهـــا بالنواجذِ ، وإياكم ومُحدَثاتِ الأمورِ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّـــهَ غَفُـــورٌ رَّحِـــيمٌ﴾ (المزمـــل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقـــرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المساجد

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي جعلَ المساجدَ بيوتاً للعبادةِ ، ورغّبَ في عمارتِها والاعتناءِ بها عبادَه ، وجعلَ ذلك من صفاتِ المؤمنين الآخذين بأسبابِ السعادةِ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديهِ ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نَهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من العباداتِ التي يُتقرّبُ بها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن القُرُبـاتِ التي يُنالُ بها أعلى الدرجاتِ عند اللهِ سبحانه وتعالى ؛ هـو بنـاءُ المـساجدِ وعمارتُها ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (النور/٣٦ ـ ٣٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة/١٨) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « مَن بنى للهِ مسجداً بنى اللهُ له بيتاً في الجنّةِ » ، وفي حديثٍ آخرَ : « مَن بنى مسجداً لا لرياءٍ أو سمعةٍ ولو كمفحصِ قَطاةٍ ؛ بنى اللهُ له أوسعَ بيتٍ في الجنّةِ » ، وجاءَ أيضاً : « مَن بنى بيتاً يعبدُ اللهَ فيه من حلالٍ بنى اللهُ له بيتاً في الجنّةِ من درٍّ وياقوتٍ » ، وبناءُ المساجدِ من الأعمالِ والحسناتِ التي تلحقُ المرءَ بعد موتِه ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا ماتَ ابنُ آدم انقطعَ عملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٍ جاريةٍ ، وولدٍ صالحٍ يدعو له ، وعلمٍ ينتفعُ به » .

وللمساجدِ مزايا عظيمةٌ وفضائلُ كثيرةٌ ، وحسبُكم أنّها بيوتُ اللهِ في أرضِه ، وقد أضافَها اللهُ سبحانه وتعالى إلى نفسِه في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن/١٨) ، وفي الحديثِ القدسيِّ : «إنَّ بيوتي في أرضي المساجدُ ، وإنَّ زوّاري فيها هم عمّارُها ، فطوبى لعبدٍ تطهَّرَ في بيتِه ، ثم زارني ، فحقٌّ على المزورِ أن يُكرِمَ زائرَه » ، ومعنى كونِ

المساجدِ بيوتَ اللهِ ؛ أي معاهدَ عبادتِه ، ومنازلَ أداءِ فرائضِه وقُرُباتِه ، ومحالَّ رحماتِه وبركاتِه ، ومَألُفاتِ عبادِه الصالحين من الإنسِ والجنِّ والملائكةِ ، وقد وردَ : « المساجدُ سوقٌ من أسواقِ الآخرةِ ، وأهلُها أضيافُ اللهِ ، وقِراهم فيها المغفرةُ وتحفتُهم الجنّةُ » ، والمساجدُ بيوتُ المتقين ، ومجالسُ الكرامِ ، وهي حِصنٌ حصينٌ من الشيطانِ ، وقد وردَ : « أحبُّ البقاعِ إلى اللهِ مساجدُها ، وأبغضُ البقاعِ إلى اللهِ أسواقُها » ، وكونُ المساجدِ أحبَّ البقاعِ إلى اللهِ ؛ لأنها مواضعُ العبادةِ ، وأساسُها على التقوى ، وكونُ الأسواقِ أبغضَ البقاعِ إلى اللهِ ؛ لأنَّها مواضعُ الفحشِ والغفلةِ ، والإعراضِ عن ذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

أيُّها المسلمون :

إنَّ للمساجدِ حقوقاً ينبغي لكلِّ مسلمٍ معرفتُها والاعتناءُ بها ، فمِن حقِّ المسجدِ على أهلِه : أن يبنوه في أرضٍ مباحةٍ صالحةٍ له ، أو يشتروا له أرضاً من مالكِها حلالاً من أطيّبِ أموالِهم ابتغاءَ وجهِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومِن حقِّ المسجدِ: أن يكونَ في غايةِ النزاهةِ والنظافةِ والطهارةِ من الأمورِ التي تتعلّقُ بأحوالِ الدنيا ؛ كالبيعِ والشراءِ والإنشادِ عن الضوالِّ ، عن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « طُهِّرت المساجدُ من ثلاثةٍ : مِن أن يُنشَدَ فيها بالضوالِّ ، أو يُتخَذَ فيها طريقٌ ، أو يكونَ فيها سوقٌ » ، وقد وردَ أنَّ : « كلَّ كلامٍ فيه لا بصلاةٍ أو ذكرٍ أو سؤال حق فلغوٌ منهيٌّ عنه » ، ومِن حقِّ المسجدِ : أن يقدِّمَ داخلُه رجلَه اليمنى قائلاً : باسمِ اللهِ ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ ، اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي ، وافتحْ لي أبوابَ رحمتِك ، أعوذُ باللهِ العظيمِ ، وبوجهِه الكريمِ ، وسلطانِه القديمِ من الشيطانِ الرجيمِ ، وعند الخروجِ منه يقدِّمُ رجلَه

اليسرى قائلاً : باسمِ اللهِ ، والصلاةُ والسلامُ على رسولِ اللهِ ، اللهمَّ اغفرْ لي ذنوبي ، وافتحْ لي أبوابَ فضلِك ، ومِن حقِّ المسجدِ : أن يُحيّى بركعتين قبل الجلوسِ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فليركعْ ركعتين قبل أن يجلسَ » ، وفي حديثٍ آخرَ : « إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ فلا يجلسْ حتى يركعَ ركعتين » ، ومِن حقِّ المسجدِ : تنويرُه وعمارتُه بما بُنيَ له من الصلاةِ والذكرِ وقراءةِ القرآنِ ، وتعليمِ العلمِ وتعلّمِه ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : «لا صلاةَ لجارِ المسجدِ إلا في المسجدِ» ، وجاءَ عنه ﷺ : « مَن سمعَ النداءَ ولم يجبْ فلا صلاةَ له إلا من عذرٍ » ، قيلَ : يا رسولَ اللهِ ، وما العذرُ ؟ قالَ : «خوفٌ أو مرضٌ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « لو يعلمُ الناسُ ما في النداءِ والصفِّ الأوّلِ ، ثمَّ لم يجدوا إلا أن يتساهموا عليه لتساهموا ، ولو يعلمون ما في التهجيرِ لاستبقوا إليه ، ولو يعلمون ما في العتَمةِ والصبحِ لأتوهما ولو حَبواً » ، وجاءَ عنه ﷺ : « أثقلُ الصلاةِ على المنافقين صلاةُ العشاءِ وصلاةُ الفجرِ ، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حَبواً » ، وجاءَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ أنّه دخلَ المسجدَ يوماً ، فوجدَ أصحابَه عِزينَ ، يتذاكرون فنونَ العلمِ ، فأوّلُ حلْقةٍ وقفَ عليها وجدَهم يقرؤون القرآنَ ، فجلسَ إليهم ، فقالَ :« بهذا أرسلني ربي » ، ثم قامَ إلى الثانيةِ ، فوجدَهم يتكلّمون في الحلالِ والحرامِ ، فجلسَ إليهم ، ولم يقلْ شيئاً ، ثم قامَ إلى الثالثةِ ، فوجدَهم يذكرون توحيدَ اللهِ عزَّ وجلَّ ونفيَ الأشباهِ والأمثالِ عنه ، فجلسَ إليهم كثيراً ، ثم قالَ : « بهذا أمرَني ربي » .

ومن حقِّ المسجدِ : أن يُتخَذَ له مؤذِّنٌ أمينٌ ، حافظٌ للأوقاتِ ، محتَسِبٌ للأجرِ العظيمِ والثوابِ الجزيلِ الذي أُعدَّ للمؤذنين ، رُويَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ: «ثلاثةٌ يومَ القيامةِ على كثبانِ المسكِ من مسكٍ أسودَ ، لا يهولُهم فزَعٌ ، ولا ينالُهم حسابٌ : رجلٌ قرأَ ابتغاءَ وجهِ اللهِ ، فأمَّ به قوماً وهم به راضون ، ورجلٌ أذَّنَ سبعَ سنين في مسجدٍ من مساجدِ اللهِ ، لا يأخذُ على أذانه طمَعاً ، ورجلٌ ابتلاه اللهُ بالرِّقِّ في دارِ الدنيا ، فأحسنَ عبادةَ ربِّه ، وأدَّى حقَّ مولاه» ، وقدْ وردَ : « المؤذِّنُ المحتَسِبُ كالمتشحِّطِ بدمِه في سبيلِ اللهِ ، يشهدُ له كلُّ رطْبٍ ويابسٍ يسمعُ صوتَه ، وإذا ماتَ لم يُدوِّدْ في قبرِه » ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة/١٠٥) ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة/١٨) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ الكريمِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

لقدْ وردَ الحضُّ على ملازمةِ المسجدِ ، والتردّدِ إليه ، والترغيبُ في ذلك عن رسولِ اللهِ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « بشِّرِ المشّائين إلى المساجدِ في الظُّلمِ بالنورِ التامِّ يومَ القيامةِ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « سبعةٌ يظلُّهم اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه : إمامٌ عادلٌ ، وشابٌّ نشأَ في عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ورجلٌ متعلّقٌ قلبُه بالمسجدِ إذا خرجَ منه حتى يعودَ إليه ، ورجلانِ تحابّا في اللهِ ، اجتمعا وتفرَّقا على ذلك ، ورجلٌ دعته امرأةٌ ذاتُ حُسْنٍ وجمالٍ ، فقالَ : إنّي أخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، ورجلٌ تصدّقَ بصدقةٍ ، فأخفاها حتى لا تعلمَ شمالُه ما أنفقت يمينُه ، ورجلٌ ذكرَ اللهَ خالياً ، ففاضت عيناه بالدموعِ من خشيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « ألا أخبرُكم بما يمحو به اللهُ الخطايا ، ويرفعُ به الدرجاتِ ؟ إسباغُ الوضوءِ على المكارهِ ، وكثرةُ الخطا إلى المساجدِ ، وانتظارُ الصلاةِ بعد الصلاةِ ، فذالكم الرِّباطُ » ، قالَها ثلاثاً ، وجاءَ عنه ﷺ : « إنَّ الملائكةَ ليصلّون على أحدِكم ما دامَ في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يُحدِثْ ، تقولُ : اللهمَّ اغفرْ له ، اللهمَّ ارحمْه » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا

فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ (آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من آداب الصوم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، سبحانه أرشدَ الخلْقَ إلى أكملِ الآدابِ ، وفتحَ لهم من خزائنِ رحمته وجوده كلَّ بابٍ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ شهرَكم هذا شهرٌ كريمٌ ، وموسمٌ عظيمٌ ، شهرٌ يُضاعِفُ اللهُ فيه الأجرَ ، ويُجزِلُ المواهبَ ، ويفتحُ فيه أبوابَ الخيرِ لكلِّ راغبٍ ، شهرُ الخيراتِ والبركاتِ ، شهرُ المِنحِ والهباتِ ، شهرُ المنافساتِ والمسابقاتِ ، شهرُ المسارعةِ إلى نيلِ الدرجاتِ ، شهرٌ أشادَ الرسولُ ﷺ بفضلِه ، ونوّهَ بمكانتِه عند اللهِ سبحانه وتعالى ، وكان يبشِّرُ أصحابَه بقدومِه ، ويحضُّهم فيه على الإكثارِ من عملِ الخيرِ ، ويُرغِّبُهم في ذلك ، ويخبرُهم أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى ينظرُ فيه إلى تنافسِهم ، ويباهي بهم ملائكتَه ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة/١٨٥)

أيُّها المسلمون :

إنَّ للصيامِ آداباً ينبغي للصائمِ أن يتحلّى بها لينالَ بذلك الأجرَ العظيمَ والثوابَ الجزيلَ ، فمما يُسَنُّ للصائمِ : الإكثارُ من مدارسةِ القرآنِ ، وتلاوتُه تلاوةَ تأمّلٍ وتدبّرٍ ؛ اقتداءً برسولِ اللهِ ﷺ ، فقد كانَ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ يُكثِرُ من تلاوةِ القرآنِ ومدارسته في ليالي رمضانَ ، عن ابنِ عباسٍ ـ رضيَ اللهُ عنهما ـ قالَ : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناسِ ، وكانَ أجودَ ما يكونُ حين يلقاه جبريلُ ، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ ، فيدارسُه القرآنَ ، ولقارئِ القرآنِ بكلِّ حرفٍ حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً

يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (فاطر/٢٩ ـ ٣٠) ، عن أبي أمامةَ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « اقرؤوا القرآنَ ، فإنَّه يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصحابِه » ، وعن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ : « مَن قرأَ حرفاً من كتابِ اللهِ فله به حسنةٌ ، والحسنةُ بعشرِ أمثالِها ، لا أقولُ ألم حرفٌ ، ولكنْ ألفٌ حرفٌ ، ولامٌ حرفٌ ، وميمٌ حرفٌ » ، وفي مدارسةِ القرآنِ ما لا يخفى من الأجرِ والثوابِ ، « وما اجتمعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللهِ ، يتلون كتابَ اللهِ ، ويتدارسونه بينهم ؛ إلا نزلت عليهم السكينةُ ، وغشيتهم الرحمةُ ، وحفّتهم الملائكةُ ، وذكرَهم اللهُ فيمن عنده » .

ومما يُسنُّ للصائمِ : الإكثارُ من الذكرِ والدعاءِ ؛ فإنَّ الدعاءَ مخُّ العبادةِ ، وقد حضَّ الرسولُ ﷺ على الدعاءِ في رمضانَ ، وأخبرَ أنَّ دعوةَ الصائمِ من الدعواتِ التي لا تُرَدُّ ، فقد رُوِيَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنّه قال : «ثلاثةٌ لا تُرَدُّ دعوتُهم : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حتى يُفطِرَ ، ودعوةُ المظلومِ ، يرفعُها اللهُ فوق الغمامِ ، وتفتَحُ لها أبوابَ السماءِ ، ويقولُ الربُّ وعزّتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حينٍ » ، وقد وردَ : إنَّ للصائمِ عند فطرِه دعوةً لا تُرَدُّ ، ومن حديثِ سلمانَ الفارسي : « فاستكثِروا فيه من أربعِ خصالٍ ، خصلتانِ تُرضون بهما ربَّكم ، وخصلتانِ لا غنى لكم عنهما ، أمّا الخصلتان اللتان تُرضون بهما ربَّكم : فشهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وتستغفرونه لذنوبِكم ، وأمّا الخصلتانِ اللتانِ لا غنى لكم عنهما : فتسألون اللهَ الجنّةَ ، وتتعوّذون به من النارِ » ، ومن حديثٍ آخرَ : « ولله في كلِّ يومٍ من شهرِ رمضانَ عند طلوعِ الشمسِ ، وعند وقتِ الإفطارِ عُتقاءُ يُعتقُهم من النارِ عبيداً وإماءً ، ومَلَكٌ

ينادي من تحت العرشِ : هل من تائبٍ يُتابُ عليه ؟ هل من داعٍ يُستجابُ له ؟ هل من مظلومٍ ينصرُه اللهُ ؟ هل من مستغفرٍ يُغفَرُ له ؟ هل من سائلٍ يُعطى سؤالَه ؟ » ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة/١٨٦) ﴿ وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف/١٨٠) .

ومما يُسنُّ للصائمِ : الإكثارُ من العبادةِ والاجتهادُ في قيامِ الليلِ ، « من قام رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّمَ من ذنبه » ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يجتهدُ في رمضانَ ما لا يجتهدُ في غيرِه ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (الزمر/٩) ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ (الفرقان/٦٤) ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (السجدة/١٦ ـ ١٧) ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (الذاريات/١٦ ـ ١٨) ، « ركعتانِ في جوفِ الليلِ خيرٌ من الدنيا وما فيها » .

ومما يُسنُّ للصائمِ التسحّرُ ، وهو تناولُ شيءٍ من الطعامِ أو الشرابِ آخرَ الليلِ ، وقد حضَّ الرسولُ ﷺ على السحورِ ، ورغّبَ في ذلك ، فقد رُويَ عنه ﷺ : « تسحّروا ؛ فإنَّ في السحورِ بركةً » ، وجاءَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ : « إنَّ فصلَ ما بين صيامِنا وصيامِ أهلِ الكتابِ أكلةُ السحَرِ » ،

ورُويَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « إنّ اللهَ وملائكتَه يصلّون على المتسحّرين » ، وقد وردَ : نِعْمَ سحورُ المؤمنِ التمرُ ، « عليكم بهذا السحورِ ؛ فإنّه الغذاءُ المباركُ » ، « تسحّروا ولو بجُرعةٍ من ماءٍ » ، وينبغي للمسلمِ أن ينويَ بتسحّرِه امتثالاً لأمرِ رسولِ اللهِ ﷺ واقتداءً بفعلِه ، وينويَ به أيضاً التقوّي على الصيامِ ؛ حتى يكونَ تسحّرُه عبادةً ، فينالَ بذلك الأجرَ العظيمَ والثوابَ الجزيلَ .

ومما يُسنُّ للصائمِ تعجيلُ الإفطارِ وتأخيرُ السحورِ ، وقد جاءَ الحضُّ على ذلك والترغيبُ فيه ، فقد جاءَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ أنّه قالَ : « لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما عجّلوا الفطرَ ، وأخّروا السُّحورَ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « لا تزالُ أمتي بخيرٍ ما عجّلوا الإفطارَ ، وأخّروا السحورَ » ؛ أي لا تزالُ أمتي على الفطرةِ الإسلاميةِ المخالفةِ لليهوديةِ والنصرانيةِ ما عجّلوا الإفطارَ ، وأخّروا السحورَ ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ عن زيدِ بنِ ثابتٍ قالَ : تسحّرنا مع رسولِ اللهِ ﷺ ثم قامَ إلى الصلاةِ ، قالَ أنسٌ : قلتُ لزيدٍ : كم كانَ بين السحورِ والأذانِ؟ قالَ : قدرَ خمسين آيةً . ومما يُسنُّ للصائمِ أن يفطرَ على طعامٍ لم تمسَّه النارُ اقتداءً برسولِ الله ﷺ ، فقدْ كانَ ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ يُفطِرُ على رُطَباتٍ ؛ فإن لم تكنْ رُطباتٍ فتمرات ، فإن لم تكن تمراتٍ حسا حسواتٍ من ماءٍ ، وقالَ : « إذا أفطرَ أحدُكم فليُفطِرْ على التمرِ ؛ فإنّه بركةٌ ، فإن لم يكن تمرٌ فالماء ؛ فإنّه طهورٌ » ، وينبغي للمسلمِ أن يدعوَ عند الإفطارِ بما يُناسِبُ المقامَ ؛ كأنْ يقولَ : اللهمَّ لك صمتُ ، وعلى رزقِك أفطرتُ ، سبحانك وبحمدِك ، اللهمَّ تقبّلْ مني ، إنّك أنت السميعُ العليمُ ، ذهبَ الظمأُ ، وابتلّت

العروقُ ، وثبتَ الأجرُ إنْ شاءَ اللهُ ، اللهمَّ إنّي أسألُك برحمتِك التي وسعت كلَّ شيءٍ أن تغفرَ لي » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتمسَّكوا بآدابِ الصيامِ ، وتخلَّوا عن موجباتِ الغضبِ والانتقامِ ، وتحلَّوا بأوصافِ السلفِ الكرامِ ؛ فإنَّه لا يُصلِحُ آخرَ هذه الأمّةِ إلا ما أصلحَ أوَّلَها من الطاعةِ واجتنابِ الآثامِ ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٠٥) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

إنّه مما يُسَنُّ للصائمِ : الإكثار من الصدقةِ على الفقراءِ والمساكين ، والإنفاق في وجوهِ الخيرِ ؛ فإنَّ شهرَ رمضانَ شهرٌ تُضاعَفُ فيه الأجورُ ، فمَن تقرَّبَ فيه بخصلةٍ من خصالِ الخيرِ كان كمَن أدّى فريضةً فيما سواه ، ومن أدَّى فيه

فريضةً كان كمَن أدَّى سبعين فريضةً فيما سواه ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ أجودَ الناسِ ، وكانَ أجودَ من الريحِ المُرسَلةِ ، وكانَ أجودَ ما يكونُ في رمضانَ . ومن حديثِ سلمانَ الفارسيِّ : « فمَن فطَّرَ فيه صائماً كان مغفرةً لذنوبه ، وعتقاً لرقبته من النارِ ، وكان له مثلُ أجرِه من غيرِ أن يُنقَصَ له من أجرِه شيءٌ» ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/٢٤٥) ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد/١١) ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد/١٨) ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة/٢٧٤) ﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/٩٢) ، اتقوا النارَ ولو بشِقِّ تمرةٍ ؛ فإنَّ الصدقةَ تطفئُ النارَ ، تصدَّقوا ؛ فإنَّ الصدقةَ تطفئُ غضبَ الربِّ ، تصدَّقوا ؛ فإنَّ الصدقةَ تطفئُ الخطيئةَ كما يطفئُ الماءُ النارَ ، تصدَّقوا ؛ فإنَّ الصدقةَ تقي مصارعَ السوءِ ، وتدفعُ ميْتةَ السوءِ ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (سبا/٣٩) ، « في كلِّ يومٍ ينادي ملكان ، يقولُ أحدُهما : اللهمَّ أعطِ مُنفِقاً خلَفاً ، ويقولُ الآخرُ : اللهمَّ أعطِ مُمْسِكاً تلَفاً » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * وَالَّذِينَ إِذَا

فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران/١٣٣ ـ ١٣٦) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضـــل رمضـــان

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ البرِّ الكريمِ ، الرؤوفِ الرحيمِ ، ذي الفضلِ والتكريمِ ، والإحسانِ العميمِ ، سبحانه لا مانعَ لما أعطى ، ولا معطيَ لما منعَ ، يختصُّ ما شاءَ بما شاءَ من هِباتِه ، ويوفّقُ من شاءَ لما شاءَ من طاعاتِه ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى جعلَ للخيرِ مواسمَ ، فقد اختصَّ أياماً من أيامِه بمزيدٍ من الخيرِ ، وفضّلَ بعضَ الأزمنةِ على بعضٍ ، واختارَها ميقاتاً للتجارةِ الرابحةِ ، ومن هذه الأزمنةِ : شهرُ رمضانَ المباركِ ، الذي فضّلَه اللهُ سبحانه وتعالى على سائرِ الشهورِ ، وجعلَه مضماراً لخلقِه ، يستبقون فيه بطاعتِه ، فسبقَ أقوامٌ ففازوا ، وتخلّفَ أقوامٌ فخابوا ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة/١٨٥) ، ومما مُيِّزَ به هذا الشهرُ المباركُ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى أكرمَ فيه هذه الأمّةَ بليلةٍ جعلَها خيراً من ألفِ شهرٍ ، هذه الليلةُ هي ليلةُ القدرِ التي أنزلَ اللهُ سبحانه وتعالى فيها القرآنَ الكريمَ ، والتي أنزلَ في شأنِها وفضلِها سورةً بأسرِها ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ (القدر/١ ـ ٥) ، وقد أخبرَ اللهُ سبحانه وتعالى عن هذه الليلةِ بأنّها ليلةٌ مباركةٌ ، فيها يُفرَقُ كلُّ أمرٍ حكيمٍ ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (الدخان/١ ـ ٦) ، وفي تسميتِها بالليلةِ المُباركةِ دليلٌ على ما يَفيضُ فيها من الخيراتِ والبركاتِ والنَّفحاتِ ، وفي تسميتِها بليلةِ القدرِ دليلٌ على شرفِها وعِظَمِ شأنِها .

وقد أُخفيت هذه الليلةُ المباركةُ في طيِّ هذا الشهرِ المباركِ ؛ ليحرصَ المؤمنون على إحياءِ جميعِ ليالي رمضانَ رجاءَ أن ينالوا خيرَ هذه الليلةِ العظيمةِ

؛ إذ لو عُيِّنت لتساهلَ الناسُ في إحياءِ سائرِ الليالي اتكالاً على ما ينالونه من فضلِ هذه الليلةِ المباركةِ ، وقد حضَّ الرسولُ ﷺ أصحابَه على التماسِها ، وأمرَهم أن يلتمسوها في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ وفي كلِّ وترٍ من هذه العشرِ ، فقد رُويَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أنّه قالَ : « التمسوا ليلةَ القدرِ في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « التمسوا ليلةَ القدرِ في الوترِ من العشرِ الأواخرِ من رمضانَ » ، ومِن هنا كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعتكفُ فيها ، ويجتهدُ فيها ما لا يجتهدُ في غيرِها، ويُوقِظُ أهلَه، ويُشرِكُهم معه في القيامِ رجاءَ أن يُصادِفَ هذه الليلةَ العظيمةَ، فينالَ من خيرِها العظيمِ، فعن عائشةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالت: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يجتهدُ في رمضانَ ما لا يجتهدُ في غيرِه، وفي العشرِ الأواخرِ منه ما لا يجتهدُ في غيرِه، وعنها ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالت : كانَ رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخلَ العشرُ الأواخرُ من رمضانَ أحيى الليلَ ، وأيقظَ أهلَه ، وجدَّ وشدَّ المِئزرَ ، وشدُّ المئزرِ كنايةٌ عن شدّةِ الاجتهادِ ، وقد وردَ أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُوقِظُ أهلَه في العشرِ الأواخرِ من رمضانَ ، وكلَّ صغيرٍ وكبيرٍ يُطيقُ الصلاةَ ، وعن أمِّ سلمةَ ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالت: لم يكنِ النبيُّ ﷺ إذا بقيَ من رمضانَ عشرةُ أيامٍ يدعُ أحداً من أهلِه يُطيقُ القيامَ إلا أقامَه ، وقد حضَّ رسولُ اللهِ ﷺ أمّتَه على التماسِ ليلةِ القدرِ ، وبيّنَ لهم فضلَها ، فعن أنسٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ : دخلَ رمضانُ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ هذا الشهرَ قد حضرَكم ، وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ ، من حُرِمَ خيرَها فقد حُرِمَ ، ولا يحرمُ خيرَها إلا محرومٌ » ، وعن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن قامَ ليلةَ القدرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّمَ

من ذنبه » ، ورويَ أنَّ عائشةَ أمَّ المؤمنين ـــ رضيَ اللهُ عنها ـــ سألت رسولَ اللهِ ﷺ عمَّا تقولُه إذا علمت ليلةَ القدرِ ؟ فقالَ : « قولي اللهمَّ إنَّك عفوٌّ تحبُّ العفوَ ، فاعفُ عني » .

أيُّها المسلمون :

أنتم الآن تستقبلون هذه الأيامَ العشرَ التي هي أفضلُ أيامِ الشهرِ ، وهذه الليالي العشرُ التي هي أفضلُ ليالي الشهرِ ، فجديرٌ بالمسلمِ العاقلِ الكيِّسِ الفَطِنِ أن يحرصَ كلَّ الحرصِ على التماسِ هذه الليلةِ المباركةِ ؛ بإحياءِ هذه الليالي بالصلاةِ وقراءةِ القرآنِ وذكرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والتوبةِ النصوحِ والاستغفارِ ، والدعاءِ والتضرّعِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ والابتهالِ إليه ، فإنَّها فرصةٌ ثمينةٌ ، إنّها فرصةٌ قد لا تُعوَّضُ ؛ لأنَّ الإنسانَ لا يدري هل يأتي عليه رمضانُ آخرُ أم يفجأُه ريبُ المنونِ ؟! فربَّ غادٍ غيرُ رائحٍ ، وربَّ رائحٍ غيرُ غادٍ ، وكم من مؤمّلٍ أن يمنَّ اللهُ عليه بلقاءِ هذا الشهرِ المباركِ ، فقعدَ به الأجلُ عن بلوغِ الأملِ ، فالآجالُ تقطعُ الآمالَ ، ولا يغترَّ أحدٌ بشبابِه وفتوّته وصحته وقوّته ؛ فإنَّ الموتَ يأتي بغتةً ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (الرعد/٣٨) ﴿ إِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَلاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (يونس/٤٩) ، فعلى المسلمِ أن يغتنمَ هذه الفرصةَ الثمينةَ ، فيتوبَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، ويدعوَه بقلبٍ خاشعٍ وعينٍ دامعةٍ ضارعاً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ أن يتقبّلَ منه توبتَه ، وأن يحطَّ عنه خطيئتَه ، وأن يرفعَ له درجتَه ، وأن يُدخلَه جنّتَه مع أوليائه الذين أنعمَ اللهُ عليهم من النبيّين والصديقين والشهداءِ والصالحين ، وحَسُنَ أولئك رفيقاً ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة/١٠٥) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠)، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ الكريمِ.

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ:

اتقوا اللهَ تعالى، واغتنموا هذه الفرصةَ الثمينةَ، تزوَّدوا من هذا الشهرِ المباركِ ومن هذه الأيامِ العشرِ الأعمالَ الصالحةَ التي تقرِّبكم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ، وأخلِصوا أعمالَكم للهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠)، واسألوا اللهَ سبحانه وتعالى الفوزَ بالجنّةِ والنجاةَ من النارِ ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (آل عمران/١٨٥) ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *

وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (آل عمران/١٣٣ـ١٣٦) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وداع رمضان

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ ذي العظمةِ والكبرياءِ ، والمجدِ والثناءِ ، الذي تفرّدَ بالبقاءِ ، وكتبَ على خلقِه الفناءَ ، سبحانه لا حدَّ لأوّليّته ، ولا أوّلَ لأزليّته ، ولا آخرَ لأبديّته ، ولا يفنى دوامُه ، ولا تُحصى أنعامُه ، جعلَ لكلِّ بدايةٍ نهايةً ، ولكلِّ شيءٍ غايةً ، ولكلِّ أجلٍ كتاباً ، ولكلِّ عمَلٍ حساباً ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، أفنى القرون الماضية قوما بعد قوم ، وأباد الدهور الخالية يوما بعد يوم ، وهو الحي الباقي ، ﴿ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ شهرَكم هذا ـــ شهرَ رمضانَ المبارك ـــ قد آذنَ بالرحيلِ بعد أن نزلَ ضيفاً كريماً ، فاختلفَ الناسُ في إكرامِه وقِراه ، منهم من استقبلَه بمضاعفةِ عبادةِ اللهِ ، وزيادةِ البرِّ والإحسانِ إلى خلْقِ اللهِ ، ومنهم من كان بخلافِ ذلك ، فانقلبوا فيه إلى كاسبٍ خيراً ، ومكتسبٍ شرّاً ، سبقَ أقوامٌ ففازوا ، وتخلّفَ أقوامٌ فخابوا ، وكلٌّ يحصدُ ما زرعَ ، ويُجزى بما صنعَ ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (الأنعام/١٦٠) ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النمل/٨٩ ـ ٩٠) ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (القصص/٨٤) ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (غافر/٤٠) ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت/٤٦) ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (الجاثية/١٥) ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/٧ ـ ٨) ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء/٤٧) .

وإنّه لجديرٌ بمن فرّطَ في واجبِ هذا الشهرِ ، وأضاعَ هذه الفرصةَ الثمينةَ ؛ أن يَعضَّ على بَنانِ الندمِ ، وأن يسكبَ عبراتِ الحزنِ ، وأن يتداركَ نفسَه بالتوبةِ النصوحِ ، والرجوعِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ، وعمَلِ ما يمكنُه عملُه في هذه الأيامِ القلائلِ المتبقيةِ من هذا الشهرِ في هذا العامِ ؛ لعلَّه يُصادِفُ قَبولاً من ربِّه ، فيفوزَ فوزاً عظيماً ، وإنّه لجديرٌ بمن وفّقَه اللهُ سبحانه وتعالى لصيامِ هذا الشهرِ وقيامِه ؛ أن يشكرَ اللهَ على ذلك ، ويسألَه القَبولَ ، وأن يستصحبَ تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ في سائر العامِ ، وألا يكونَ حظُّه من عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ التردّدَ إلى المساجدِ في هذا الشهرِ فحسب ؛ لأنَّ عبادةَ اللهِ لم تكنْ لفترةٍ أو لأمَدٍ ، تنقضي بانقضائه ، وإنّما هي مطلوبةٌ في كلِّ وقتٍ ، دائمةٌ بدوامِ الأبَدِ ، فعلى المسلمِ أن يكونَ دائماً وأبداً بعيداً عن الغفلةِ ، متجهاً إلى اللهِ سبحانه وتعالى في كلِّ لحظةٍ ، غيرَ مكتفٍ بما قدّمَه من عملٍ صالحٍ في أيِّ فترةٍ من فتراتِ العمرِ ، وفي أيِّ زمنٍ من الأزمنةِ الفاضلةِ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران/١٠٢) ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ (الحجر/٩٩) « خيرُ العملِ أدومُه وإن قلَّ » ، « اتقِ اللهَ حيثُما كنتَ ، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحُها ، وخالقِ الناسَ بخُلقٍ حسنٍ » .

أيُّها المسلمون :

كما أنّكم في هذه الأيامِ تودِّعون ضيفاً كريماً ؛ فإنّكم تستقبلون يوماً عظيماً ، تستقبلون عيداً شريفاً جليلاً، تستقبلون أحدَ اليومينِ اللذينِ أكرمَ اللهُ سبحانه وتعالى بهما هذه الأمّةَ ، وجعلَهما عيدينِ لجميعِ المسلمينَ ، يشتركُ في مسرّاتِهما الصغيرُ والكبيرُ ، والقويُّ والضعيفُ ، والغنيُّ والفقيرُ ، أبدلَ اللهُ بهما

هذه الأمّةَ مِن يومينِ كانا للجاهليةِ في أيامِ جاهليّتها ، يلعبون فيهما ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ قالَ : قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ، ولهم يومانِ يلعبون فيهما ، قالَ : « ما هذانِ اليومانِ ؟ » ، قالوا : كنّا نلعبُ فيهما في الجاهليةِ ، قالَ : « إنَّ اللهَ أبدلَكم خيراً منهما: يومَ الأضحى ، ويومَ الفطرِ » .

وقد شُرِعت في هذينِ اليومينِ أحكامٌ مختلفةٌ ، منها ما هو مشتركٌ فيه بينهما ، ومنها ما هو خاصٌّ بأحدِهما ، فمن الأحكامِ المشتركَةِ بينهما : حرمةُ صيامِهما ، فصيامُ هذينِ اليومينِ حرامٌ بإجماعِ المسلمين ؛ لأنّهما يوما ضيافةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن الأحكامِ المشتركةِ : الصلاةُ في هذينِ اليومينِ صلاةُ العيدِ التي يجتمعُ فيها المسلمون أصحابُ المنطقةِ الواحدةِ في مكانٍ واحدٍ ، فينبغي للمسلمِ أن يواظبَ عليها ، وأن يحافظَ عليها ، وألا يتخلّفَ عنها ، فهي سنّةٌ مؤكّدةٌ ، تاركُها خسيسُ المترلةِ ، ومما يُسنُّ للمسلمِ في هذين اليومينِ عند إرادةِ الخروجِ إلى الصلاةِ أن يغتسلَ ويتسوّكَ ، ويتطيّبَ بما حضرَ من الطيبِ ، ويتجمّلَ بأحسنِ اللباسِ ، ثم يغدو إلى المصلّى ماشياً رافعاً صوتَه بالتكبيرِ ، وبعد الفراغِ من الصلاةِ يرجعُ في طريقٍ غيرِ الطريقِ الذي جاءَ فيه إلى المصلّى اقتداءً برسولِ اللهِ ﷺ .

ومن الأحكامِ الخاصّةِ بعيدِ الفطرِ : زكاةُ الفطرِ التي شرعَها اللهُ سبحانه وتعالى ؛ طُهْرةً للصائمِ من اللغوِ والرَّفَثِ ، وطُعمةً للمساكين ، وقد أمرَ رسولُ اللهِ ﷺ بزكاةِ الفطرِ ، وحضَّ عليها ، ورغَّبَ فيها ، فقد وردَ أنَّ شهرَ رمضانَ معلَّقٌ بين السماءِ والأرضِ ، لا يُرفَعُ إلا بزكاةِ الفطرِ ، ورُويَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ أنّه بعثَ منادياً يُنادي في فِجاجِ مكةَ : « ألا إنَّ صدقةَ

الفطرِ واجبةٌ على كلِّ مسلمٍ » ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ قالَ : فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفطرِ ؛ طُهرةً للصائمِ من اللغوِ والرَّفَثِ ، وطُعمةً للمساكين ، وعن ابنِ عمرَ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ قالَ : فرضَ رسولُ اللهِ ﷺ زكاةَ الفطرِ صاعاً من طعامٍ ، أو صاعاً من تمرٍ ، أو صاعاً من شعيرٍ ، أو صاعاً من زبيبٍ ، أو صاعاً من أقطٍ على الذكرِ والأنثى ، والحرِّ والعبدِ ، والصغيرِ والكبيرِ ، وأمرَ أن تُؤدَّى قبل الصلاةِ ؛ يعني صلاةَ العيدِ ، وتجبُ زكاةُ الفطرِ على كلِّ مسلمٍ لم يتكلّفْها بدَينٍ ، يخرِجُها عن نفسِه ، وعن كلِّ مَن يلزمُه عَولُه لزوماً شرعيّاً ، يُخرِجُ عن كلِّ واحدٍ صاعاً من غالبِ ما يقتاتُ به أهلُ بلدِه ، وتُدفعُ للفقراءِ والمساكين ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ (الأعلى/١٤ ـ ١٥) ، قالَ بعضُ المفسرين : الزكاةُ زكاةُ الفطرِ ، والصلاةُ صلاةُ العيدِ ، ومن المندوبِ والمرغّبِ فيه تشييعُ رمضانَ بصيامِ ستّةِ أيامٍ من شوّالٍ ، عن أبي أيوب الأنصاريِّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « مَن صامَ رمضانَ ، ثمّ أتبعَه بستّةِ أيامٍ من شوّالٍ فكأنّما صامَ الدهرَ كلَّه » ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/١٨ ـ ٢٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بهدْي كتابِه .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ولِيُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنّه لم يتبقَّ من هذا الشهرِ المباركِ في هذا العامِ إلا هذه الأيامُ القلائلُ ، وإنّه لجديرٌ بكلِّ مسلمٍ أن يودِّعَه بالتوبةِ النصوحِ ؛ لأنَّ شهرَ رمضانَ هو شهرُ المغفرةِ ، وجميعُ أسبابِ المغفرةِ متوفِّرةٌ فيه ، فمن حُرِمَ المغفرةَ في رمضانَ عظُمت مصيبتُه ، وطالت حسرتُه ، ومِن كرمِ اللهِ تعالى ورحمتِه وفضلِه ومنّتِه على عبادِه أن فتحَ لهم بابَ التوبةِ ، وأمرَهم بها ، وحضَّهم عليها ، ورغّبَهم فيها ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (النساء/١٧ ـ ١٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء/١١٠) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (مريم/٦٠) ، وقالَ : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾ (طه/٨٢) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ إِلَّا مَن تَابَ

وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ (الفرقان/٧٠ ـ ٧١)، ويقولُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١) ويقولُ جلَّ شأنُه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (التحريم/٨)، وفي الحديثِ القُدُسيِّ: «يا ابنَ آدم لو بلغت ذنوبُك عنانَ السماءِ، ثم استغفرتني غفرتُ لك»، وفي الحديثِ القُدُسيِّ: «يا عبادي إنَّكم تخطئون بالليلِ والنهارِ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفرْ لكم»، وجاءَ عنه ﷺ: «إنَّ اللهَ يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ»، ورُويَ عنه ﷺ: «إنَّ اللهَ يبسطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبَ مسيءُ الليلِ حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها»، والتوبةُ النصوحُ يا عبادَ اللهِ ليست هي مجرّدَ استغفارٍ باللسانِ، فالذي يستغفرُ بلسانِه وهو مقيمٌ على المعاصي في أفعالِه؛ فهذا كذّابٌ لا ينفعُه الاستغفارُ، قالَ بعضُ السلفِ: استغفارٌ بدونِ إقلاعٍ توبةُ الكذّابين، وإنّما التوبةُ النصوحُ: هي الاستغفارُ، والندمُ، والإقلاعُ عن المعصيةِ، والعزمُ على ألا يعودَ إلى الذنبِ كما أنَّ اللبنَ لا يعودُ إلى الضرعِ، وإذا كانَ الذنبُ متعلّقاً بحقوقِ العبادِ فلا توبةَ منه إلا بردِّ المظالمِ إلى أهلِها ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٧٩) «ردُّوا الخيطَ والمِخْيَطَ»، «القليلُ من أموالِ الناسِ يورِثُ النارَ»، «الذنبُ ذنبانِ: ذنبٌ بين العبدِ وربِّه، وذنبٌ بين العبدِ وصاحبِه، أمّا الذنبُ الذي بين العبدِ وربِّه فمَن تابَ منه كانَ

كمَن لا ذنبَ له ، وأمّا الذنبُ الذي بينه وبين صاحبِه فلا توبةَ منه إلا بـــردِّ المظالمِ إلى أهلِها » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واشكروه على توفيقِه إيّاكم لصيامِ شهرِ رمـــضانَ وقيامِه ، وتضرّعوا إليه أن يتقبّلَ صيامَكم وقيامَكم ، وأن يختـــتِمَ بالـــصالحاتِ أعمالَكم ، وأن يعينَكم على ذكرِه وشكرِه في بقيّةِ أعمارِكم ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّـــهَ شَـــدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (المائدة/٢) ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهوا عن المنكـــرِ ﴿ وَأَصْـــلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَـــسَبَتْ وَهُـــمْ لاَ يُظْلَمُـــونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ما يؤمر به من أراد الحج

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، سبحانه أرشدَ الخلقَ إلى أكملِ الآدابِ ، وفتحَ لهم من خزائنِ رحمته وجوده كلَّ بابٍ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ السفرَ إلى حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ رحلةٌ روحيةٌ ، رحلةٌ لها أهدافُها الخاصّةُ والعامّةُ ، يتجشّمُ الحاجُّ فيها الصعابَ ، ويرتكبُ فيها الأخطارَ ، ويقطعُ الفيافيَ والقِفارَ ، وينفقُ فيها الأموالَ ، ويفارقُ الأهلَ والخلانَ ؛ لينالَ بذلك ثوابَ اللهِ ومغفرتَه ، ورضاه وجنّته ، لذلك كانَ الحاجُّ مأموراً بآدابٍ ينبغي له أن يُسارعَ إليها ، وأن يتحلّى بها لينالَ بذلك الأجرَ العظيمَ ، والثوابَ الجزيلَ الذي ترتّبَ على أداءِ هذا النسُكِ الشريفِ ، «من حجَّ فلم يرفُثْ ولم يفسُقْ رجعَ من ذنوبِه كيومِ ولدته أمُّه» « العمرةُ إلى العمرةِ كفّارةٌ لما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنّةَ» ، فممّا يُؤمرُ به مَن أرادَ الحجَّ أن يتوبَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى من جميعِ المعاصي توبةً نصوحاً ؛ لأنَّ المعصيةَ تكونُ سبباً لعدمِ قَبولِ الأعمالِ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة/٢٧) ، ومما يُؤمرُ به مَن أرادَ الحجَّ أن يتخلّصَ من جميعِ التبعاتِ ، عليه أن يقضيَ ديونَه ، ويكفّرَ أيمانَه ، ويوفيَ بنذرِه ، وأن يبرَّ مَن فرضَ اللهُ عليه برَّه ؛ بأن يُحسنَ إلى والديه ، ويصِلَ أرحامَه ، ويؤديَ حقوقَ جيرانِه ، ويصِلَ الناسَ بالمعروفِ ، بل يؤمرُ بأن يصِلَ مَن قطعَه ، ويعطيَ مَن حرمَه ، ويعفوَ عمّن ظلمَه ، ويُحسنَ إلى مَن أساءَ إليه ؛ تقرّباً إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتزوّداً للتقوى ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (البقرة/١٩٧) ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف/١٩٩) ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت/٣٤ـ٣٥) .

ومما يُؤمرُ به مَن أرادَ الحجَّ أن يوسّعَ من الزادِ ليتسعَ خلُقُه ، وتحسنَ معاملتُه ، فإنَّ ذلك مما يجعلُه يُحسنُ إلى المستضعفين ، ويُواسي المحرومين ، وجديرٌ بمن قصدَ مرضاةَ اللهِ سبحانه وتعالى أن يُسارِعَ إلى ذلك ﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/٩٢) ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة/٢٧٤) ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/٢٤٥) ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد/١١) ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد/١٨) ، « الصدقةُ تُطفئُ غضبَ الربِّ ، وتدفعُ ميتةَ السوءِ ، وتقي مصارعَ السوءِ » ، « مَن نفّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُرَبِ الدنيا نفّسَ اللهُ عنه كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامة ، ومن يسّرَ على مُعْسِرٍ يسّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ ، ومن سترَ مسلماً سترَه اللهُ في الدنيا والآخرةِ ، واللهُ في عونِ العبدِ ما دامَ العبدُ في عونِ أخيه » .

ومما يؤمرُ به من أرادَ الحجَّ أن يتخيّرَ نفقتَه من كسبٍ حلالٍ ، ومن خيرِ ماله وأطيبه ، فاللهُ سبحانه وتعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة/٢٧) ، عن أبي هريرةَ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « إنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين ، فقالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ (المؤمنون/٥١) ، وقالَ سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾

(البقرة/١٧٢) ، ثمّ ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ: يا ربِّ، يا ربِّ، ومطعمُه حرامٌ ، ومشربُه حرامٌ ، وملبسُه حرامٌ ، وغُذِّيَ بالحرامِ ، فأنّى يُستجابُ لذلك؟!» وقد وردَ : « إذا خرجَ الرجلُ حاجّاً بنفقةٍ طيبةٍ ، ووضعَ رجلَه في الغرْزِ ، وقالَ : لبّيكَ ؛ ناداه منادٍ من السماءِ : لبّيكَ وسعديكَ ، زادُك حلالٌ ، وراحلتُك حلالٌ ، وحجُّك مبرورٌ غيرُ مأزورٍ ، وإذا خرجَ بالنفقةِ الخبيثةِ ، فوضعَ رجلَه في الغرْزِ ، فقالَ : لبّيكَ اللهمَّ لبّيكَ ؛ ناداه منادٍ من السماءِ : لا لبّيكَ ولا سعديكَ ، زادُك حرامٌ ، ونفقتُك حرامٌ ، وحجُّك مأزورٌ غيرُ مبرورٍ » ، ومما يؤمرُ به مَن أرادَ الحجَّ أن يختارَ الرفيقَ الصالحَ الذي يعينُه على التقوى ، ويبصّرُه في دينِه ، ويعرِّفُه بما يأتيه وما يذرُه ، فالرفيقُ الصالحُ يعينُك على طاعةِ اللهِ ، يأمرُك بالخيرِ ، وينهاك عن الشرِّ ، ويسمِعُك العلمَ النافعَ والقولَ الصادقَ والحكمةَ البالغةَ ، يعرِّفُك بعيوبِ نفسِك ، ويشغِلُك عمّا لا يعنيك ، يُجهِدُ نفسَه في تعليمِك وتفهيمِك ، وإصلاحِك وتقويمِك ، إذا غفلتَ ذكّرَك ، وإذا مللتَ أو أهملتَ بشّرَك وأنذرَك ، يحمي عِرضَك في غيبتِك وفي حضرَتِك ، وفوائدُ الرفيقِ الصالحِ فوائدُ كثيرةٌ ، وحسبُ المرءِ أن يُعرَفَ بقرينِه ، وأن يكونَ على دينِ خليلِه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ (التوبة/١١٩) « مَثَلُ الجليسِ الصالحِ والجليسِ السوءِ كحاملِ المسكِ ونافخِ الكيرِ ، فحاملُ المسكِ إمّا أن يحذيَك ، وإمّا أن تبتاعَ منه ، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً طيّبةً، ونافخُ الكيرِ إمّا أن يحرِقَ ثيابَك ، وإمّا أن تجدَ منه ريحاً منتنةً» « المرءُ على دينِ خليلِه، فلينظرْ أحدُكم مَن يخالِلُ» « الجارُ قبل الدارِ ، والرفيقُ قبل الطريقِ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتمسّكوا بتعاليمِ دينكم الحنيفِ ، عضّوا عليها بالنواجذِ ، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمورِ ، وسارعوا إلى أداءِ ما فرضَ اللهُ عليكم ، وراقبوا اللهَ في سريرتِكم وعلانيتِكم ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ، وأخلِصوا أعمالَكم للهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف/١١٠) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجَّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنّه مما يؤمرُ به من أرادَ حجَّ بيتِ اللهِ الحـــرامِ : أن يتعلّمَ مناسكَ الحجِّ وحدودَه ، وواجباتِه ومسنوناتِه ، ومحظوراتِه ومكروهاتِه ، حتى يكونَ على بيّنةٍ من أمرِه ، وعلى بصيرةٍ في كلِّ ما يأتيه ومـــا يـــذرُه ، «طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ» ، « عملٌ قليلٌ في علمٍ خيرٌ من عمـــلٍ كثيرٍ في جهلٍ » ، و « مَن أرادَ اللهُ به خيراً فقّهَه في الدِّينِ ، وألهمَه رُشدَه » ،

«مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّلَ اللهُ له طريقاً إلى الجنّة» ، وقد أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بإتمامِ الحجِّ والعمرةِ في قولِه عزَّ من قائلٍ: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة/١٩٦)، والمرادُ بإتمامِهما: إكمالُ مناسكِهما وحدودِهما، وفرائضِهما وسننِهما، ومن أينَ يمكنُ للإنسانِ إكمالُ هذه الأشياءِ إلا بعد معرفتِها وإتقانِها ؟! وقد حكى اللهُ سبحانه وتعالى دعاءَ إبراهيمَ وإسماعيلَ ـ عليهما السلامُ ـ الذي سألا اللهَ فيه أن يريَهما مناسكَهما في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة/١٢٧ـ١٢٨) ، وعندما حجَّ الرسولُ ﷺ حجّةَ الوداعِ كان يعلّمُ أصحابَه مناسكَ الحجِّ بالقولِ والفعلِ ، ويقولُ : « خذوا عنّي مناسككم » ، وقد جاءَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ : « العمرةُ إلى العمرةِ كفّارةٌ لما بينهما ، والحجُّ المبرورُ ليسَ له جزاءٌ إلا الجنّةَ » ، والمرادُ بالحجِّ المبرورِ : هو الذي لم يُقارِفِ الحاجُّ فيه إثماً ، ولم يرتكبْ فيه معصيةً ، وأن يتخيّرَ نفقتَه من كسبٍ حلالٍ ، ومن خيرِ مالِه وأطيبِه ، وأن يقصدَ بذلك وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، لا يريدُ رياءً ولا سمعةً ، وأن يأتيَ بالأعمالِ التي بيّنَها رسولُ اللهِ ﷺ .

ومن أين يمكنُ للإنسانِ مراعاةَ هذه الأشياءِ ؟! إلا إذا كانَ موصولاً بنورِ اللهِ ، متفقّهاً في دينِه حتى يعرفَ أين يضعُ قدمَه ، وكيفَ يصرّفُ نفسَه ويسيّرُ أمرَه ، ومن المؤسفِ والمحزنِ أنَّ كثيراً من الناسِ يذهبون لأداءِ حجِّ بيتِ اللهِ الحرامِ ، وهم يجهلون مناسكَ الحجِّ ، لا يعرفون متى تُؤدَّى هذه الفريضةُ ، ولا

يعرفون المناسكَ التي يؤدّونها ، ولا يفرّقون بين النافعِ والضارِّ ، ولا يميِّزون بين الحقِّ والباطلِ ، وفي هذا من الخطورةِ ما لا يخفى ، فقد يتعرّضُ أحدُهم لما يُوجبُ عليه الهديَ ، وقد يتعرَّضُ أحدُهم لفسادِ حجِّه من حيثُ لا يشعرُ ، فعلى المسلمِ أن يتفقّهَ في دينه حتى يعبدَ اللهَ على بصيرةٍ ، ﴿ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل/٤٣) ، « هلّا سألوا إذا لم يعلموا ؛ فإنَّ شفاءَ العيِّ السؤالُ » ، « تعلّموا العلمَ ؛ فإنَّ تعلّمَه قُرْبةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتعليمَه لمن لا يعلمُه صدقةٌ ، وإنَّ العلمَ ليترِلُ بصاحبِه في موضعِ الشرفِ والرِّفعةِ ، والعلمُ زينٌ لأهلِه في الدنيا والآخرةِ » ، «مَن تعلّمَ العلمَ للهِ عزَّ وجلَّ ، وعملَ به ؛ حشرَه اللهُ يومَ القيامةِ آمناً ، ويُرزَقُ الورودَ على الحوضِ» .

أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ﴿ وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ * لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ

حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة/١٩٦ ــ ٢٠٣) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ، ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عشر ذي الحجة

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزِلُ البركاتُ ، سبحانه اختصَّ ما شاءَ من مخلوقاته بما شاءَ من هباته ، ووفّقَ من شاءَ من عباده لما شاءَ من طاعاته ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى جعلَ الشهورَ والأعوامَ والليالِيَ والأيّامَ مقاديرَ للآجالِ ، ومواقيتَ للأعمالِ ، وجعلَ للخيرِ مواسمَ ، فقد اختصَّ أيّاماً من أيّامه بمزيدٍ من الخيرِ ، وفضّلَ بعضَ الأزمنةِ على بعضٍ ؛ ليتنافسَ فيها المتنافسون ، ويتسابقَ فيها المتسابقون ، ويعملَ فيها المُجدّون المشمّرون الذين عرفوا سرَّ وجودِهم في هذه الحياةِ ، وحكمةَ خلْقِ اللهِ لهم في هذا الكونِ ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (الذاريات/٥٦ ــ ٥٨) ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك/٢) ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان/٢ ــ ٣) ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس/٢٥) ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف/٤٦) ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (سبأ/٣٧) ، « الكيّسُ مَن دانَ نفسَه ، وعملَ لما بعد الموتِ ، والعاجزُ مَن أعطى نفسَه هواها ، وتمنّى على اللهِ الأمانيَّ » ، « لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن أربعٍ : عن عمرِه فيمَ أفناه ؟ وعن شبابِه فيمَ أبلاه ؟ وعن مالِه من أينَ اكتسبَه ؟ وفيمَ أنفقَه ؟ وعن علمِه ماذا عملَ به ؟ » ، « خصلتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ : الصحةُ والفراغُ » ، « بادروا بالأعمالِ سبعاً ، هل تنتظرون إلا فقراً مُنسياً، أو غنى مُطغياً، أو مرضاً مُفسداً،

أو هرَماً مُفنِداً، أو موتاً مُجهِزاً ، أو الدجالَ ، فالدجالُ شرُّ غائبٍ يُنتَظرُ، أو الساعةَ ، فالساعةُ أدهى وأمرُّ» «من خافَ أدلجَ ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ غاليةٌ ، ألا إنَّ سلعةَ اللهِ الجنّةُ» .

أيُّها المسلمون :

إنَّ من الأزمنةِ التي اختصَّها اللهُ سبحانه وتعالى ، وجعلَها ميقاتاً للتجارةِ الرابحةِ ؛ هذه الأيامَ العشرَ التي تسيرُ بكم الآنَ فيها مركبةُ الحياة ، وهي عشرُ ذي الحجّةِ ، فهي الأيامُ المعلوماتُ التي ذكرَها اللهُ سبحانه وتعالى في قوله : ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ (الحج/٢٨) ، وهي العشرُ التي أتمَّ اللهُ بها ميقاتَ موسى عليه السلامُ ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (الأعراف/١٤٢) ، ولشرَفِ هذه الأيامِ أقسمَ اللهُ سبحانه وتعالى بلياليها في قوله عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (الفجر/١ ــ ٢) ، وقد بيّنَ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ العملَ الصالحَ في هذه الأيامِ أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من العملِ في غيرِها ، فعن ابنِ عمرَ ــ رضيَ اللهُ عنه ــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «ما من أيّامٍ أعظم عند اللهِ سبحانه، ولا أحبّ إليه العملُ فيهنَّ من هذه الأيامِ العشرِ، فأكثِروا فيهنَّ من التهليلِ والتكبيرِ والتحميدِ»، وعن ابنِ عباسٍ ــ رضيَ اللهُ عنهما ــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما من أيامٍ العملُ الصالحُ فيها أحبُّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من هذه الأيامِ » ؛ يعني الأيامَ العشرَ ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ولا الجهاد في سبيلِ اللهِ ؟! قال : « ولا الجهادَ في سبيلِ اللهِ إلا رجلٌ خرجَ بنفسِه ومالِه ، ثمّ لم يرجعْ بشيءٍ من ذلك » .

والعملُ الصالحُ الذي يحبُّ اللهُ سبحانه وتعالى الإكثارَ منه في خاصّةِ هذه الأيامِ العشرِ يشملُ الصلاةَ والصيامَ ، والدعاءَ والذكرَ والاستغفارَ ، والصدقةَ بالمالِ ، وسائرَ أفعالِ البرِّ والإحسانِ ، فللصدقةِ في هذه الأيامِ شأنٌ كبيرٌ وفضلٌ كثيرٌ ؛ لأنّها تُصادِفُ من الفقيرِ موضعَ حاجتِه ، وشدّةَ فاقتِه ؛ لما يتطلّبُه الفقيرُ للعيدِ من النفقةِ والكِسوةِ وسائرِ المؤنةِ الضروريةِ ، فالصدقةُ في هذه الأيامِ تقعُ من الفقيرِ بالموقعِ الذي يحبُّه اللهُ سبحانه وتعالى من تفريجِ كربتِه ، وقضاءِ حاجتِه ، وإدخالِ السرورِ عليه وعلى أهلِ بيتِه ﴿ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة/٢٤٥) ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد/١١) ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ (الحديد/١٨) ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة/٢٧٤) ﴿ لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران/٩٢) ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ/٣٩) ، « الصدقةُ تطفئُ النارَ » ، « الصدقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ » ، « الصدقةُ تطفئُ غضبَ الربِّ » ، « الصدقةُ تقي مصارعَ السوءِ ، وتدفعُ ميتةَ السوءِ » ، « في كلِّ يومٍ ينادي ملكانِ ، يقولُ أحدُهما : اللهمَّ أعطِ مُنفقاً خلَفاً ، ويقولُ الآخرُ : اللهمَّ أعطِ مُمسكاً تلَفاً » ، « مَن نفّسَ عن مؤمنٍ كُرْبةً من كُرَبِ الدنيا نفّسَ اللهُ عنه كُرْبةً من كُرَبِ يومِ القيامةِ ، ومَن يسّرَ على مُعسرٍ يسّرَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ ،

ومن سترَ مسلماً سترَه اللهُ في الدنيا والآخرةِ ، واللهُ في عونِ العبدِ ما دام العبدُ في عونِ أخيه » ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (الحج/٧٧ ـ ٧٨) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ من الأعمالِ التي يحبُّها اللهُ سبحانه وتعالى الصيامَ في هذه الأيامِ العشرِ ؛ لأنَّ هذه الأيامَ هي أفضلُ أيامِ الدنيا ؛ من أجلِ أنَّ فيها يومَ عرفة ، الذي نزلَ فيه قولُ اللهِ تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (المائدة/٣) ، والذي قالَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ : « أفضلُ أيامِكم يومُ عرفة ، وأفضلُ ما قلتُ

أنا والنبيّون مِن قبلي عشيّةَ عرفة : لا إلهَ إلا اللهُ ، وحده لا شريكَ لـه ، لـه الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » ، وعن أبي الدرداء قالَ : عليكم بصومِ أيامِ العشرِ ، وإكثارِ الدعاءِ والاستغفارِ ، والصدقةِ فيها ؛ فإنّي سمعتُ نبيَّكم محمداً ﷺ يقولُ : « الويلُ لَمن حُرِمَ خيرَ عشرِ ذي الحجّةِ » ، عليكم بصيامِ التاسعِ خاصّةً ؛ فإنَّ فيه من الخيراتِ أكثرَ من أن يحصيَه العادّون ، وعن أبي قتادةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « صومُ يومِ عرفة يكفّرُ سنتين ماضيةً ومستقبلَةً ، وصومُ يومِ عاشوراءَ يكفّرُ سنةً ماضيةً » ، ويكفي الصومَ مزيّةً وشرفاً وفضلاً قولُه ﷺ : « كلُّ عملِ ابنِ آدم له يُضاعَفُ ، الحسنةُ بعشرِ أمثالِها إلى سبعمائةِ ضعفٍ ، قالَ اللهُ تعالى : إلا الصومَ فإنَّه لي ، وأنا أجزي به ، يدعُ شهوتَه وطعامَه من أجلي » ، « للصائمِ فرحتانِ: فرحةٌ عند فطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه» ، و«لخلوفُ فمِ الصائمِ أطيّبُ عندَ اللهِ من ريحِ المسكِ»، و«الصومُ جُنّةٌ» .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وسارعوا إلى الأعمالِ الصالحةِ التي تقرّبكم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون ، إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة/٧ ـ ٨) ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٠٥) ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (الأنبياء/٤٧) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ

رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أركـــان الحجّ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ البرِّ الكريمِ ، الرؤوفِ الرحيمِ ، ذي الفضلِ والتكريمِ ، والإحسانِ العميمِ ، سبحانه فرضَ حجَّ بيتِه الحرامِ على مَن استطاعَ إليه سبيلاً ؛ ليغسّلَهم بذلك من الذنوبِ تغسيلاً ، وجعلَ العلمَ بمناسكِ الحجِّ نوراً ودليلاً ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ للحجِ مناسكَ لا بدَّ من معرفتِها ، وأنَّ للعمرةِ مناسكَ لا بدَّ من معرفتِها ، أمّا مناسكُ العمرةِ فهي خمسةُ أشياء : الإحرامُ ، والتلبيةُ ، والطوافُ بالبيتِ ، والسعيُ بين الصفا والمروةِ ، والإحلالُ بالحلقِ أو التقصيرِ ، وأمّا مناسكُ الحجِّ فهي عشرةُ أشياء : الإحرامُ ، والتلبيةُ ، والمبيتُ بمنى ، والوقوفُ بعرفة ، والمبيتُ بمزدلفة ، وذكْرُ اللهِ عند المشعرِ الحرامِ ، ورميُ الجمارِ ، والذبحُ والإحلالُ بالحلقِ أو التقصيرِ ، والطوافُ بالبيتِ والسعيُ بين الصفا والمروةِ .

ومن بين هذه المناسكِ العشرةِ ثلاثةُ أركانٍ لا يتمُّ الحجُّ إلا بها بإجماعِ المسلمين ، الركنُ الأولُ : الإحرامُ ، فمَن لم يُحرِمْ فلا حجَّ له إجماعاً ، فإذا بلغَ الحاجُّ الميقاتَ الذي يُحرِمُ منه أهلُ ناحيته وجبَ عليه ألا يجاوزَه إلا وهو محرمٌ ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ قالَ : وقّتَ رسولُ اللهِ ﷺ لأهلِ المدينةِ أن يُهلّوا من ذي الحُليفةِ ، ولأهلِ الشامِ الجحفةَ ، ولأهل نجدٍ قرْناً ، ولأهلِ اليمنِ يلمْلمَ ، ولأهلِ العراقِ ذاتَ عرقٍ ، والإحرامُ بالحجِّ لا يكونُ إلا في أشهرِه ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾ (البقرة/١٩٧) ، وهي شوال ، وذو القعدةِ ، وعشرُ ذي الحجةِ ، والإحرامُ هو نيةُ الدخولِ في أحدِ النُّسُكينِ الحجِّ والعمرةِ المقارنةُ للتجرّدِ والتلبيةِ ، وصفتُه أن يغتسلَ مريدُه بالماءِ كالغسلِ من الجنابةِ إنْ أمكنَه ذلك ، وإلا أجزأه الوضوءُ ، ثم يلبسُ ثوبين جديدين أو غسيلين لم يُلبسا منذ غُسِلا ، والمستحبُّ أن يكونا أبيضين لقولِ النبيِّ ﷺ : « عليكم بهذه الثيابِ البيضِ ، ألبسوها أحياكم ، وكفّنوا فيها موتاكم ؛ فإنّها خيرُ ثيابِكم ، ولا تكفّنوهم في حريرٍ ، ولا مع شيءٍ من الذهبِ ، فإنّهما محرمانِ على رجالِ أمتي ، ومحلّلانِ لنسائِها » ، ثم يصلي ركعتين إن لم تحضرْ مكتوبةٌ ، وإن حضرت مكتوبةٌ

أحرمَ بعدها ، وبعد الفراغِ من الصلاةِ يعقدُ نية الإحرامِ ، ويلبي قائلاً : لبّيك اللهمَّ لبّيك ، لبّيك لا شريكَ لك لبّيك ، إنَّ الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ ، لا شريكَ لك ، لبّيك بحجّةٍ تمامُها وبلاغُها عليك ، وإن أحرمَ بعمرةٍ قالَ : لبّيك بعمرةٍ تمامُها وبلاغُها عليك ، وإن قرنَ بين الحجِّ والعمرةِ قالَ : لبّيك بحجّةٍ وعمرةٍ تمامُهما وبلاغُهما عليك . وينبغي له أن يُكثِرَ من التلبيةِ ، ويرفعَ بها صوتَه كلما سارت به راحلتُه ، أو علا شرَفاً ، أو هبطَ وادياً ، أو سمعَ ملبّياً ؛ لِما في ذلك من الأجرِ العظيمِ ، والثوابِ الجزيلِ ، رُوِيَ عنه ﷺ أنّه قالَ : «أفضلُ الحجِّ العجُّ والثجُّ » ، فالعجُّ رفعُ الصوتِ بالتلبيةِ ، والثجُّ الإكثارُ من إراقةِ دمِ الهديِ والنُّسكِ ، وجاءَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ : « ما من محرمٍ يُضْحِي يومَه يلبّي حتى تغيبَ الشمسُ إلا غابت ذنوبُه ، فعادَ كما ولدته أمُّه » ، ورُويَ عنه ﷺ : « ما أهلَّ مُهِلٌّ قطّ إلا بُشِّرَ ، ولا كبّرَ مُكبِّرٌ قطّ إلا بُشِّرَ » ، قيل : يا رسولَ اللهِ ، بالجنّةِ ؟ قالَ : « نَعَمْ » ، ورُويَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « ما من مسلمٍ يلبي إلا لبى مَن عن يمينِه وشمالِه مِن حجرٍ أو شجرٍ أو مدَرٍ حتى تنقطعَ الأرضُ مِن هاهنا وهاهنا » .

وعلى المحرمِ أن يجتنبَ أشياء ، فمن ذلك الجِماعُ ومقدماتُه ، وأكْلُ صيدِ البرِّ ، وحلقُ الشعرِ وقصُّه ونتفُه ، وتقليمُ الأظفارِ ، واستعمالُ الطيبِ ، وتغطيةُ الرأسِ ، ولبسُ القميصِ والعمامةِ ، والسراويلاتِ ، والبُرانُسِ ، والخِفافِ ، وما مسَّه الزعفرانُ أو الورسُ من الثيابِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ (البقرة/١٩٦) ، ويقولُ سبحانه :

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ﴾ (البقرة/١٩٧) ، ويقولُ سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ * أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (المائدة/٩٥ ــ ٩٦) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « لا يلبسُ المحرمُ القميصَ ولا العمامةَ ، ولا السراويلاتِ ، ولا البُرانُسَ ، ولا الخِفافَ ، فإنْ لم يجدْ نعلين ؛ فليلبسْ خفّينِ ، وليقطعْهما أسفلَ من الكعبين ، ولا يلبسُ المحرمُ شيئاً من ثيابٍ مسَّها الزعفرانُ ولا الورسُ » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « لا يَنكِحُ المحرمُ ولا يُنكِحُ ولا يخطِبُ » ، ورُويَ أنَّ محرِماً ماتَ بحضرتِه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ فقالَ : « اغسِلوه بماءٍ وسدرٍ ، وكفّنوه في ثوبيه ، ولا تحنطوه ، ولا تُخمِّروا رأسَه ؛ فإنَّ اللّهَ تعالى يبعثُه يومَ القيامةِ ملبياً » .

الركنُ الثاني من أركانِ الحجِّ الوقوفُ بعرفة ، فمنْ لم يقفْ بعرفة فلا حجَّ له إجماعاً ، ووقتُ الوقوفِ بعد زوالِ الشمسِ إلى غروبِها في اليومِ التاسعِ من شهرِ ذي الحجةِ ، فإذا زالت الشمسُ خطبَ الإمامُ ، وبعد الخطبةِ يُؤذِّنُ المؤذِّنُ ، ثم يصلّون الظهرَ والعصرَ جمعَ تقديمٍ ، وينبغي للمسلمِ العاقلِ الكيّسِ الفطِنِ أن لا يضيّعَ هذه الساعاتِ في القيلِ والقالِ ، وحديثِ الدنيا والتناظُرِ في

أمورِها ، بل ينبغي له أن يغتنِمَ هذه الفرصةَ في الدعاءِ والابتهالِ ، والتضرّعِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، والذكرِ والاستغفارِ ، فإنَّ يومَ عرفة يومٌ مباركٌ ، فهو أفضلُ أيامِ الدنيا ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « أفضلُ أيامِكم يومُ عرفة ، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنبيّون مِن قبلي عشيّةَ عرفة لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » ، وجاءَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « خيرُ الدعاءِ دعاءُ يومِ عرفة » ، ورُويَ عنه ﷺ أنّه قالَ : « إنَّ اللهَ يُباهي بأهلِ عرفاتٍ أهلَ السماءِ ، يقولُ : انظروا إلى عبادي جاءوني شُعثاً غبراً » ، ومن حديثِ ابنِ عباسٍ : « وإذا وقفوا بعرفاتٍ ، وضجّت الأصواتُ بالحاجاتِ ؛ باهى اللهُ بهم ملائكةَ سبعِ سماواتٍ يقولُ : ملائكتي وسكّانَ سبعِ سماواتي ، انظروا إلى عبادي ، أتوني من كلِّ فجٍّ عميقٍ شُعْثاً غُبْراً ، قد أنفقوا الأموالَ ، وأتعبوا الأبدانَ ، فوعزّتي وجلالي وكرمي لأهبنَّ مسيئَهم لمحسنِهم ، ولأخرجنَّهم من ذنوبِهم كيومِ ولدتهم أمّهاتُهم » .

وعلى الحاجِّ أن يبقى بعرفة حتى تغربَ الشمسُ ، وليسَ له أن يفيضَ إلى المزدلفة قبل غروبِ الشمسِ ، والرسولُ ﷺ يقولُ : « خذوا عني مناسككم » ، ولم يفضْ ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ إلا بعد أن غربت الشمسُ ، وقالَ : «إنَّ أهلَ الشركِ والأوثانِ كانوا يدفعون من عرفاتٍ إذا صارت الشمسُ على رؤوسِ الجبالِ كأنّها عمائمُ الرجالِ في وجوهِهم ، ويدفعون من المزدلفة إذا طلعت الشمسُ على رؤوسِ الجبالِ كأنّها عمائمُ الرجالِ في وجوهِهم ، وإنّا لا ندفعُ من عرفاتٍ حتى تغربَ الشمسُ ، ويُفطِرَ الصائمُ ، وندفعُ من المزدلفة غداً إن شاءَ اللهُ قبل طلوعِ الشمسِ ، هدينُا مخالفٌ لهديِ أهلِ الشركِ والأوثانِ » ،

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُواْ اللّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّآلِّينَ * ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُواْ اللّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ * وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (البقرة/١٩٨ ـ ٢٠٣) نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ الركنَ الثالثَ من أركانِ الحجِّ التي لا يتمُّ إلا بها الطوافُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ ، فمن لم يطفْ بالبيتِ فلا حجَّ لـــه إجماعـــاً ، ووقتُ طوافِ الحجِّ بعد الإحلالِ بالحلقِ أو التقصيرِ في اليومِ العاشرِ أو بعده ،

وهذا الطوافُ هو المسمّى بطوافِ الزيارةِ ، وطوافِ الإفاضة ، وطوافِ الركنِ ، وطوافِ الفرضِ ، وطوافِ الحجِ ، وطوافِ الصدَرِ ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ (الحج/٢٩) ، والطوافُ هو الدورانُ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ تعبّدا للهِ تعالى ، وطاعةً له عزَّ وجلَّ ، ويُشترَطُ فيه النيةُ ، والطهارةُ من الحدَثِ والخبَثِ ، وسترُ العورةِ ، والابتداءُ بالحجرِ والاختتامُ به ، والموالاةُ ، وأن يكونَ البيتُ عن يسارِ الطائفِ ، وأن يكونَ داخل المسجدِ لا خارجَه ، وأن لا يَدخُلَ الحجرَ الحطيمَ في شيءٍ من طوافه ، وأن يكونَ سبعةَ أشواطٍ لا أقلَّ ، ومما يُسنُّ في الطوافِ استلامُ الحجرِ الأسودِ وتقبيلُه ، واستلامُ الركنِ اليماني كلما مرَّ الطائفُ بهما ، وإن لم يمكنْه استلامُ الحجرِ الأسودِ أشارَ إليه بيدِه ، ومما يُسنُّ في الطوافِ التسبيحُ ، والتحميدُ ، والتهليلُ ، والتكبيرُ ، والحوقلةُ ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ ﷺ ، ومما يُسنُّ في الطوافِ الدعاءُ ، وهو غيرُ محدودٍ ولا معيّنٍ ، بل يدعو الطائفُ بما فتحَ اللهُ عليه ، إلا أنّه يُسنُّ له أن يقولَ بين الركنِ اليماني والحجرِ الأسود ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (البقرة/٢٠١) ، وبعد أن يطوفَ بالبيتِ سبعةَ أشواطٍ يصلي ركعتين عند مقامِ إبراهيمَ ـ عليه السلامُ ـ ، أو حيثُ أمكنَه من المسجدِ ﴿ وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (البقرة/١٢٥) ، يقرأُ في الركعةِ الأولى قل يّا أيها الكافرون ، وفي الركعةِ الثانيةِ ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (الإخلاص/١ ـ ٤) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وأدّوا فرائضَ اللهِ كما أمرَكم اللهُ ، وتعلّموا أمورَ دينِكم ، فطلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ، « عملٌ قليلٌ في علمٍ خيرٌ من

عملٍ كثيرٍ في جهلٍ » ، «مَن أرادَ اللهُ به خيراً فقّهَه في الدِّينِ ، وألهمَه رشدَه» ، « مَن سلكَ طريقاً يلتمسُ فيه علماً سهّل اللهُ له طريقاً إلى الجنّةِ » ، «تعلّموا العلمَ ؛ فإنَّ تعلّمه قربةٌ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وتعليمَه لمن لا يعلمُه صدقةٌ ، وإنَّ العلمَ ليترِلُ بصاحبِه في موضعِ الشرفِ والرفعةِ ، والعلمُ زينٌ لأهلِه في الدنيا والآخرةِ » ، « من تعلَّم العلمَ للهِ عزَّ وجلَّ ، وعملَ به ؛ حشرَه اللهُ يومَ القيامةِ آمناً ، ويُرزقُ الورودَ على الحوضِ » ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الضحـــايا

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، سبحانه جعلَ لعبادِه مواسمَ يتقرّبون إليه فيها بصنوفِ الطاعاتِ ، ويتنافسون فيها بأنواعِ القُرُباتِ ، ويتسابقون فيها إلى الباقياتِ الصالحاتِ ، ويتطهّرون فيها من أدرانِ السيئاتِ ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِه الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتِثلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى فاوتَ بين الأيامِ والليالي ، والشهورِ والساعاتِ في الفضلِ ، فيومٌ أفضلُ من يومٍ ، وليلةٌ أفضلُ من أخرى ، وشهرٌ أفضلُ من شهرٍ ، وساعةٌ تفضلُ ساعاتٍ ، فمن الأيامِ التي فضّلَها اللهُ سبحانه وتعالى على غيرِها هذه الأيامُ أيامُ عشرِ ذي الحجةِ ، التي أقسمَ اللهُ سبحانه وتعالى بلياليها في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ (الفجر/١ ــ ٢) ، إنَّ هذه الأيامَ هي أفضلُ أيامِ الدنيا ؛ لأنَّ فيها يومَ عرفة الذي نزلَ فيه قولُ اللهِ تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾ (المائدة/٣) ، والذي قالَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ : « يومُ عرفة ويومُ النحرِ وأيامُ التشريقِ عيدُنا أهلَ الإسلامِ » ، والذي قالَ فيه رسولُ اللهِ ﷺ : « أفضلُ أيامِكم يومُ عرفة ، وأفضلُ ما قلتُ أنا والنبيّون مِن قبلي عشيّةَ عرفة : لا إلهَ إلا اللهُ ، وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ » وعن أبي قتادةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « صومُ يومِ عرفة يكفِّر سنتين ماضيةً ومستقبلةً ، وصومُ يومِ عاشوراءَ يكفِّرُ سنةً ماضيةً » ، ومن فضائلِ يومِ عرفة أنَّ فيه أعظمَ مجامعِ الدنيا ، يجتمعُ فيه المسلمون على طاعةِ اللهِ في مشعرٍ عظيمٍ ، تُسكَبُ فيه العبراتُ ، وتُقالُ فيه العثراتُ ، وتُكفَّرُ فيه السيئاتُ ، ويُرجى فيه استجابةُ الدعواتِ ، وتُرفَعُ فيه الأصواتُ بالحاجاتِ ، فمِن نادمٍ على تضييعِه لفرائضِ اللهِ ، ومِن باكٍ على انتهاكِه لحرماتِ اللهِ ، ومِن

خائفٍ سطوةَ الملكِ الديّانِ ، ومِن راجٍ بسطةَ الكرمِ من المنّانِ ، وإذا وقفوا بعرفاتٍ ، وضجّت الأصواتُ بالحاجاتِ ؛ باهى اللهُ بهم ملائكةَ سبعِ سماواتٍ ، يقولُ : ملائكتي وسكّانَ سبعِ سماواتي ، انظروا إلى عبادي ، أتوني من كلِّ فجٍّ عميقٍ شُعثاً غُبراً، قد أنفقوا الأموالَ ، وأتعبوا الأبدانَ ، فوعزّتي وجلالي وكرمي لأهبنَّ مسيئَهم لمحسنِهم ، ولأخرجنَّهم من ذنوبِهم كيومِ ولدتهم أمهاتُهم .

ومن هذه الأيامِ العشرِ : اليومُ العاشرُ ، يومُ الحجِّ الأكبرِ ، يومُ الأضحى والنحرِ ، أحدُ اليومين اللذينِ أكرمَ اللهُ سبحانه وتعالى بهما هذه الأمّةَ ، وجعلَهما عيدينِ لجميعِ المسلمين ، يشتركُ في مسراتِهما الصغيرُ والكبيرُ ، والغنيُّ والفقيرُ ، والقويُّ والضعيفُ ، أبدلَ اللهُ بهما هذه الأمّةَ من يومينِ كانا للجاهليةِ في جاهليّتِها يلعبون فيهما ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قالَ: قدمَ رسولُ اللهِ ﷺ المدينةَ ، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقالَ: «ما هذانِ اليومانِ؟» قالوا: كنّا نلعبُ فيهما في الجاهليةِ ، قالَ: « إنَّ اللهَ أبدلَكم خيراً منهما، يومَ الأضحى ويومَ الفطرِ»، وفي هذينِ اليومينِ شُرعت أحكامٌ مختلفةٌ ، منها ما هو خاصٌّ بأحدِهما ، ومنها ما هو مشتركٌ فيه بينهما ، فمن الأحكامِ المشتركةِ بينهما : حرمةُ صيامِهما ، فصيامُ هذين اليومينِ حرامٌ بإجماعِ المسلمين ؛ لأنّهما يوما ضيافةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومن الأحكامِ المشتركةِ بينهما : صلاةُ العيدِ التي يجتمعُ فيها المسلمون أصحابُ المنطقةِ الواحدةِ في مكانٍ واحدٍ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ (الأعلى/١٤ــ١٥) ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ (الكوثر/١ ــ ٢) ، وقد صلاها رسولُ اللهِ ﷺ ، وواظبَ

عليها ، ورغّبَ فيها ، فهي سنةٌ مؤكّدةٌ ، تاركُها خسيسُ المترلةِ ، ومما يؤمرُ به المسلمُ في هذينِ اليومينِ عند إرادةِ الخروجِ إلى الصلاةِ : أن يغتسلَ ، ويتسوّكَ ، ويتطيّبَ بما حضرَ من الطيبِ ، ويتجمّلَ بأحسنِ اللباسِ ، ثم يغدو إلى المُصلى ماشياً مُكبِّراً ، وبعد الفراغِ من الصلاةِ يرجعُ في طريقٍ غير الطريقِ الذي جاءَ فيه إلى المُصلى ؛ اقتداءً في ذلك برسولِ اللهِ ﷺ .

ومن الأحكامِ الخاصّةِ بعيدِ الأضحى : الأُضحيّةُ التي جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى فيها اقتداءً لهذه الأمّةِ بأبي الأنبياءِ إبراهيمَ ـــ عليه السلامُ ـــ الذي ابتلاه اللهُ سبحانه وتعالى في مثلِ يومِ الأضحى ببلاءٍ عظيمٍ ، وذلك أنّه رأى في المنامِ أنّه يذبحُ فلذةَ كبدِه ، وثمـــرةَ فؤادِه ، وقـــرّةَ عينِه ولدَه إسماعيلَ ـــ عليه السلامُ ـــ ، فأخبرَ ولدَه بذلك ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ﴾ (الصافات/١٠٢) ، فلم يتردّدْ إسماعيلُ ـــ عليه السلامُ ـــ في قَبولِ أمرِ اللهِ ، والانقيادِ لحكمِه ، والإذعانِ لطاعتِه ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (الصافات/١٠٢) ، وأسرعَ الوالدُ الحنونُ إلى إنفاذِ أمرِ اللهِ ، ولكنّ عنايةَ اللهِ وألطافَه تداركتهما ، ففُديَ إسماعيلُ ـــ عليه السلامُ ـــ بذبْحٍ عظيمٍ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاء الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ *

﴿ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصافات/١٠١ ــ ١١١) ، وفي هذا ما يعلِّمُنا الصبرَ ، ويعرِّفُنا بعاقبةِ الصبرِ ، ويعرِّفُنا بعاقبةِ الانقيادِ لأمرِ اللهِ ، والاستسلامِ لحكمه ، والإذعانِ لطاعته ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق/٢ ــ ٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق/٤) .

والضحيّةُ يا عبادَ اللهِ سنّةٌ مرغّبٌ فيها ، وفيها فضلٌ عظيمٌ ، وثوابٌ جزيلٌ ، ينبغي للقادرين عليها أن يحيوها ، وألا يتساهلوا فيها ، فيُحرموا من ثوابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما أُنفقت الورقُ في شيءٍ أفضلَ من نحيرةٍ في يومِ عيدٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « ما عملَ ابنُ آدم يومَ النحرِ عملاً أحبَّ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ من إراقةِ دمٍ ، وإنه لتأتي يومَ القيامةِ بقرونِها وأظلافِها وأشعارِها ، وإنَّ الدمَ ليقعُ من اللهِ بمكانٍ قبل أن يقعَ على الأرضِ ، فطيبوا بها نفساً » ، وعن زيدِ بنِ أرقم ، قالوا : يا رسولَ اللهِ ، ما هذه الأضاحي ؟ قالَ : « سنّةُ أبيكم إبراهيمَ » ، قالوا : فما لنا فيها ؟ قالَ : « بكلِّ شعرةٍ حسنةٌ » ، قالوا : فالصوفُ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « بكلِّ شعرةٍ من الصوفِ حسنةٌ » ، ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الحج/٣٦ ــ ٣٧) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ للأضحيةِ شروطاً ينبغي للمضحّي معرفتُها والالتزامُ بها ، الشرطُ الأوّلُ : أن تكونَ من النَّعَمِ ، وهي الإبلُ والبقرُ والغنمُ ، الشرطُ الثاني : أن تكونَ سالمةً من العيوبِ التي تمنعُ الإجزاءَ ؛كالمريضةِ البيّنِ مرضُها ، والعوراءِ البيّنِ عوَرُها ، والعرجاءِ البيّنِ ضلعُها ، والمهزولةِ التي لا مخَّ لها ، الشرطُ الثالثُ : أن تكونَ قد بلغت السنَّ المعتبرةَ شرعاً ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : «لا تذبحوا إلا مُسنّةً إلا أن يعسُرَ عليكم ، فتذبحوا جذعةً من الضأنِ» ، الشرطُ الرابعُ : أن تقعَ في الوقتِ المحدّدِ للتضحيةِ ، وهو بعد الفراغِ من صلاةِ عيدِ الأضحى ، وبعد أن يذبحَ الإمامُ إمامُ الصلاةِ إلى غروبِ الشمسِ من اليومِ الثالث عشر ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ** ﴾ (الكوثر/١ ـ ٢) وعن البراءِ بنِ عازبٍ قالَ : ضحّى خالٌ لي يُقالُ له أبو بردةَ قبل الصلاةِ ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ : « شاتُك شاةُ لحمٍ » ، قالَ: يا رسولَ اللهِ ، إنَّ عندي داجناً جذعةً من المعزِّ ، قالَ : « اذبحْها ، ولا تصلحُ

لغيرك » ، ثم قالَ : « مَن ذبحَ قبل الصلاةِ فإنّما يذبحُ لنفسِه ، ومن ذبحَ بعد الصلاةِ فقد تمَّ نسكُه ، وأصابَ سنّةَ المسلمين » ، وينبغي للمضحِّي أن يمسحَ على ظهرِ ضحيّته بيدِه اليمنى قائلاً : اللهمَّ هذه ضحيّتي ، فتقبّلْها منّي ، وعند الاستقبالِ بها يقولُ : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام/٧٩) ﴿ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴾(الأنعام/١٦٢ ـ ١٦٣) ، وعند إرادةِ ذبحِها يقولُ : باسمِ اللهِ ، واللهُ أكبرُ ، اللهمَّ هذا منكَ ولكَ ، ولا بدَّ من ذكرِ اللهِ عند إرادةِ الذبحِ ، ومن لم يذكُرِ اسمَ اللهِ على ذبيحتِه فإنها تُعتَبرُ ميتةً ، ويحرمُ أكلُها ، ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ﴾ (الأنعام/١٢١) ، ويُؤمرُ المضحّي أن يأكلَ من ضحيّته ، ويتصدّقَ منها ، ويدّخرَ إن شاءَ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾ (الحج/٢٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ (الحج/٣٦)، ويقولُ رسولُ اللهِ ﷺ في الأضاحي: «كُلوا ، وتصدّقوا ، وادّخروا» .

ومما ينبغي التنبيهُ عليه والانتباهُ له أنَّ صيامَ أيامِ التشريقِ مكروهٌ ؛ لأنّها أيامُ أكلٍ وشربٍ وذكرِ اللهِ ، والتكبيرُ بعد كلِّ صلاةٍ مأمورٌ به ومرغّبٌ فيه ، أوّلُها صلاةُ الظهرِ من اليومِ العاشرِ ، وآخرُها صلاةُ العصرِ من اليومِ الثالث عشر ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا * تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴾ (الأحزاب/٤١ ـ ٤٤) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا

وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من مزايا شهر محرم

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه اختصَّ ما شاءَ من مخلوقاتِه بما شاءَ من هباتِه ، ووفّقَ مَن شاءَ من عبادِه لما شاءَ من طاعاتِه ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُمِيتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من الأزمنةِ التي اختصَّها اللهُ سبحانه وتعالى ، وجعلَها ميقاتاً للتجارةِ الرابحةِ ؛ هذا الشهرَ الذي تسيرُ بكم الآنَ فيه مركبةُ الحياةِ ، وهو شهرُ المحرّمِ ، أوّلُ شهورِ العامِ الهجريِّ ، فهو من أعظمِ الشهورِ ، مكانتُه عظيمةٌ ، وحُرمتُه قديمةٌ ، هو أحدُ الأشهرِ الأربعةِ الحُرُمِ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (التوبة/٣٦) ، ومن أيامِ هذا الشهرِ يومُ عاشوراءَ ، اليومُ الذي نجّى اللهُ سبحانه وتعالى فيه نبيَّه موسى ـ عليه السلامُ ـ ومن معه من المؤمنين ، وأغرقَ فيه الطاغيةَ فرعونَ ومن معه من الكافرين ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ به بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (يونس/٩٠ـ٩٢) ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ * فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ * وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ * فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ *كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ * فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ * فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ

أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ (الشعراء/٥٢ ـ ٦٨) .

إنَّ في ذلك لعبرةً يعتبرُ بها كلُّ ذي قلبٍ سليمٍ ، يوقِنُ أنَّ النصرَ للمؤمنين ولو بعد حينٍ ، وأنَّ العاقبةَ للمتقين ، ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (الحج/٤٠ ـ ٤١) ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (المجادلة/٢١) ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (الصافات/١٧١ ـ ١٧٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (محمد/٧ ـ ٨)

أيُّها المسلمون :

إنَّ يومَ عاشوراءَ كما أنَّه يومٌ من أيامِ النصرِ فهو أيضاً من الأيامِ التي اختصَّها اللهُ سبحانه وتعالى بمزيدٍ من الفضلِ ، فالصومُ الذي تميّزَ بخاصيةِ النسبةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى مشروعٌ في هذا اليومِ ومرغّبٌ فيه ، وفيه فضلٌ عظيمٌ ، وثوابٌ جزيلٌ ، وقد صامَه رسولُ اللهِ ﷺ ، وأمرَ الناسَ بصيامِه ، فلمَا فُرِضَ رمضانُ أصبحَ صيامُ يومِ عاشوراءَ سنّةً ؛ طلباً للأجرِ ؛ وتكفيراً لما لعلّه أن يكونَ قد اقترفَه الإنسانُ في ماضيه من الوِزرِ، فكلُّ ابنِ آدم خطّاءٌ، وخيرُ الخطّائين التوّابون ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين ـ رضيَ اللهُ عنها ـ قالت: كانَ يومُ عاشوراءَ يوماً تصومُه قريش في الجاهليةِ ، وكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يصومُه في الجاهليةِ ، فلما قدمَ المدينةَ صامَه وأمرَ الناسَ بصيامِه ، فلمّا فُرِضَ رمضانُ كانَ

هو الفريضةَ ، وتركُ يوم عاشوراءَ ، ومن شاءَ صامَه ، ومن شاءَ تركَه ، ولكنْ في صيامِه ثوابٌ عظيمٌ ، وعن أبي قتادةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « صومُ يومِ عرفة يكفّرُ سنتين ماضيةً ومستقبلةً ، وصومُ يومِ عاشوراءَ يكفّرُ سنةً ماضيةً » ، وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ : « من صامَ يومَ عاشوراءَ كانَ كفّارةً لستين شهراً ، وعتقَ عشرِ رقباتٍ مؤمناتٍ مِن ولَدِ إسماعيلَ عليه السلامُ » ، ففي هذا الحديثِ بيانٌ أنَّ مَن صامَ عاشوراءَ حصلَ له شيئانِ : غفرانٌ وثوابٌ ، أمّا الغفرانُ فإنَّه يُكفّرُ عنه ذنبُ ستين شهراً ، وأمّا الثوابُ فإنّه يُعطى ثوابَ مَن أعتقَ عشرَ رقباتٍ مؤمناتٍ من ولَدِ إسماعيلَ ـــ عليه السلامُ ـــ ، فينبغي للمسلمِ أن يحرصَ كلَّ الحرصِ على صيامِ هذا اليومِ طلباً للأجرِ ، وأن يصومَ معه يوماً قبلَه ، وهو اليومُ التاسعُ ؛ عملاً بما استقرّت عليه سنّةُ المصطفى ﷺ ، فالرسولُ ﷺ صامَ العاشرَ ، ونوى أن يصومَ التاسعَ حيثُ قالَ : « لئن بقيتُ إلى قابلٍ لأصومنَّ التاسعَ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واغتنموا فرصةَ صيامِ هذينِ اليومينِ ؛ أعني التاسعَ والعاشرَ من المحرمِ يُعظِمِ اللهُ لكم الحسناتِ ، ويكفّرْ عنكم السيئاتِ ، ويرفعْ لكم الدرجاتِ ، واغتنموا فرصةَ هذه الحياةِ الفانيةِ في المبادرةِ بالأعمالِ الصالحةِ التي تقرّبكم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ في يومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) وأخلِصُوا أعمالَكم للهِ عزَّ وجلَّ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ

عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (الكهف/١١٠) ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التوبة/١٠٥) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعمروا أوقاتَكم بصنوفِ الطاعاتِ وأنواعِ القُرُبـــاتِ ، وانتبهوا من رقدةِ الغَفَلاتِ قبل الوقوعِ في الهَلَكَاتِ ، وبادروا إلى الأوبةِ قبـــل انغلاقِ بابِ التوبةِ ، وحاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا ، وتذكَّروا قـــولَ اللهِ تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَـــةِ فَمَـــن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمـــران/١٨٥)، ﴿ وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا الـــسَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَـــاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْـــسِنِينَ ﴾ (آل عمـــران/١٣٣ـــ ١٣٤)

﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ *أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر/٥٤ـ٥٨) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحضّ على الزواج والترغيب فيه

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزِلُ البركاتُ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ به ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِه الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِه إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ نِعَمَ اللهِ سبحانه وتعالى كثيرةٌ ، لا تُعدُّ ولا تُحصى ، ولا تُحــدُّ ولا تُستقصى ، ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل/٥٣) ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ

اللّه لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل/١٨) ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم/٣٤) ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان/٢٠) ، وقد كرّمَ اللهُ سبحانه وتعالى الإنسانَ ، وفضّلَه على كثيرٍ من مخلوقاته ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء/٧٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾ (الإنفطار/٦ ـ ٨) ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين/٤) ، وممّا كرمَ اللهُ سبحانه وتعالى به الإنسانَ ، وفضّلَه به ، وميّزَه على كثيرٍ من مخلوقاته ؛ أنْ جعلَ اللقاءَ بين جنسيه : الذكرِ والأنثى في إطارِ نظامٍ ربانيٍّ ، يستمدُّ قدسيّته من شرعِ اللهِ سبحانه وتعالى ، في إطارِ نظامٍ يحفظُ الكرامةَ والعفّةَ والشرفَ ، هذا النظامُ هو الزواجُ الشرعيُّ ، الذي امتنَّ اللهُ سبحانه وتعالى به على الإنسانِ ، وأمرَه بالمحافظةِ عليه ؛ لما فيه من تكريمه ، وإعلاءِ قدْرِه ، ورفعِ شأنِه ؛ حتى لا يكونَ شأنُه شأنَ البهيمةِ العجماءِ ، التي يترو ذكرُها على أنثاها من غيرِ محافظةٍ على أيِّ نظامٍ .

وقد حضَّ الإسلامُ على الزواجِ ، ورغّبَ فيه بصورٍ متعددةٍ ، فتارةً يأمرُ به كما في قوله تعالى : ﴿ فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ ﴾ (النساء/٣) ، وتارةً يذكرُه على أنّه من سُننِ المرسلين كما في قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ﴾

(الرعد/٣٨) ، وتارةً يذكرُه في مقامِ الامتنانِ كما في قولِه تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾ (النحل/٧٢) ، وتارةً يتحدّثُ عن كونِه آيةً من آياتِ اللهِ كما في قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم/٢١) ، وقد جاءَ الحضُّ على الزواجِ والترغيبُ فيه عن رسولِ اللهِ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ ، فعن أبي أمامةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « ما استفاد العبدُ المؤمنُ بعد تقوى اللهِ عزَّ وجلَّ خيراً له من زوجةٍ صالحةٍ ، إن نظرَ إليها سرّته ، وإن أمرَها أطاعته ، وإن أقسمَ عليها أبرَّته ، وإن غابَ عنها نصحته في نفسِها ومالِه » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ : « مَن رزقَه اللهُ امرأةً صالحةً فقد أعانَه على شطرِ دينِه ، فليتقِ اللهَ في الشطرِ الباقي » ، وقدْ وردَ : « مَن أرادَ أن يلقى اللهَ طاهراً مُطهَّراً فليتزوّجْ الحرائرَ » ، وقد أنكرَ رسولُ اللهِ ﷺ على الذين جاءوا يسألون عن عبادتِه ، وعندما أُخبِروا بها كأنّهم تقالُّوها فقالوا : أين نحنُ من رسولِ اللهِ ﷺ ؟ وقد غُفِرَ له ما تقدّمَ من ذنبِه وما تأخّرَ ، ثمَّ قالَ أحدُهم : أمّا أنا فأصومُ ولا أفطرُ ، وقالَ الثاني : وأمّا أنا فأصلّي ولا أرقدُ ، وقالَ الثالثُ : وأمّا أنا فأعتزلُ النساءَ ولا أتزوّجُ أبداً ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « أنتم الذين قلتُم كذا وكذا » ، قالوا : نعمْ ، قالَ : «أمَا واللهِ إنّي لأخشاكم للهِ وأتقاكم له ، لكني أصومُ وأفطرُ ، وأصلي وأرقدُ ، وأتزوّجُ النساءَ ، فمن رغبَ عن سنتي فليس مني » ، وقد وجّهَ رسولُ اللهِ ﷺ النداءَ للشبابِ خاصّةً حيثُ قالَ : « يا معشرَ الشبابِ ، مَن استطاعَ منكم

الباءةَ فليتزوّجْ ؛ فإنّه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرْجِ ، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصومِ ؛ فإنّه له وِجاءٌ » ، فبدأ ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ أوّلاً بالأمرِ بالزواجِ ؛ لما فيه من حفظِ العفّةِ والشرفِ والكرامةِ ، ولما فيه من فوائدَ ومزايا كثيرةٍ .

أيُّها المسلمون :

إنَّ هنالك فريقاً من الشبابِ يُعرَضُ عليه الزواجُ ، فيتردّدُ في قَبولِه ، ويحجِمُ عنه خوفاً من الاضطلاعِ بتكاليفِه ، وهروباً من تحمّلِ أعبائِه ، والإسلامُ يلفتُ نظرَ هؤلاءِ إلى أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى سيجعلُ الزواجَ سبباً للغنى ، وأنّه سبحانه سيُمدُّه بالقوةِ التي يتغلّبُ بها على أسبابِ الفقرِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور/٣٢) ، وقد وردَ : « ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونُهم : المجاهدُ في سبيلِ اللهِ ، والمكاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ ، والناكِحُ الذي يريدُ العفافَ » ، وقد رُويَ : « أربعٌ مَن أُعطيَهنَّ فقد أُعطِيَ خيرَ الدنيا والآخرةِ : قلباً شاكراً ، ولساناً ذاكراً ، وبدناً على البلاءِ صابراً ، وزوجةً لا تبغيه حُوباً في نفسِها ومالِه » .

وقد وردَ الحضُّ على اختيارِ المرأةِ الصالحةِ ذاتِ الدِّينِ والأخلاقِ الفاضلةِ ، والترغيبُ في ذلك ؛ لأنَّ المرأةَ بمنزلةِ التربةِ التي تُلقى فيها البذورُ ، وإذا كانت المرأةُ صالحةً كانت عوناً للرجلِ على تربيةِ الأولادِ واستصلاحِهم ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « تُنكَحُ المرأةُ لأربعٍ : لمالِها ، ولحسَبِها ، ولجمالِها ، ولدينِها ، فاظفرْ بذاتِ الدِّينِ تربت يداك» ، وقد جاءَ عنه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ :

« تزوّجوا الأبكارَ ؛ فإنهنَّ أعذبُ أفواهاً ، وأنتقُ أرحاماً ، وأقنعُ باليسيرِ » ، ووردَ : « تزوّجوا الودودَ الولودَ ؛ فإنّي مُكاثِرٌ بكم الأممَ يومَ القيامةِ » ، ووردَ : « تخيّروا لنُطَفِكم ؛ فإنَّ النساءَ يلدْن أشباهَ إخوانِهنَّ وأخواتِهنَّ » ، ورُويَ : « تزوّجوا في الحجرِ الصالحِ ؛ فإنَّ العِرْقَ دسّاسٌ » .

أيُّها المسلمون :

إنَّ للزواجِ شروطاً لا يتمُّ إلا بها ، فمن شروطِ الزواجِ : الوليُّ ، والرِّضا من الزوجينِ ، والمهرُ ، والبيِّنةُ ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا نكاحَ إلا بولِيٍّ وصداقٍ وبيِّنةٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « أيّما امرأةٍ نكحت نفسَها بدونِ إذنِ وليِّها فنكاحُها باطلٌ باطلٌ باطلٌ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « الأيِّمُ أحقُّ بنفسِها من وليِّها ، والبِكْرُ تُستأذَنُ في نفسِها ، وإذنُها صُماتُها » ، فعلى الوليِّ أن يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى فيمن يلي أمرَ زواجه من النساءِ ؛ بألا يؤخّرَ الزواجَ إذا خطبَ إليهم مَن يرضى دينَه وخُلُقَه ، فإنَّ في تأخيرِ الزواجِ نتائجَ مؤلمةً ، وعواقبَ وخيمةً ، ويقعُ بسببِ ذلك ما لا تُحمَدُ عقباه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْاْ بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** ﴾ (البقرة/٢٣٢) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « إذا خطبَ إليكم كفءٌ فلا تردّوه ، فنعوذُ باللهِ من بَوارِ البناتِ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « إذا أتاكم مَن ترضون دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه ، إلا تفعلوا تكنْ فتنةٌ في الأرضِ ، وفسادٌ كبيرٌ » ، وقد وردَ : « من بلغت ابنتُه اثنتي عشرةَ سنةً ، فلم يزوِّجْها ، فأصابت إثماً ؛ فإثمُ ذلك عليه » .

فعلى الوليِّ أن يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى ؛ بأن ييسّرَ أمرَ الزواجِ ، وألا يتعلّقَ بعاداتِ الجاهليةِ من التغالي في المهورِ ؛ فإنَّ التغاليَ في المهورِ يكونُ عرقلةً عن الزواجِ الذي وردَ الأمرُ به ، والحضُّ عليه ، والترغيبُ فيه ، وليس التغالي في المهورِ دليلاً على قيمةِ المرأةِ ، فالصداقُ شُرِعَ ليكونَ تمييزاً بين النكاحِ والسِّفاحِ ، ولو كانَ التغالي في المهورِ دليلاً على قيمةِ المرأةِ لكانَ الأولى بذلك بناتُ رسولِ اللهِ ﷺ وأزواجُه ، وقد كانت صدُقاتُهنَّ أيسرَ الصدُقاتِ ، وقد وردَ : « أعظمُ النكاحِ بركةً أيسرُه مؤنةً » ، ورُويَ : يُمْنُ المرأةِ : يسرُ نكاحِها ، وقلةُ مهرِها ، وحسنُ خُلُقِها ، وشؤمُها : عسْرُ نكاحِها ، وغلاءُ مهرِها ، وسوءُ خُلُقِها ، ومن المؤسفِ والمحزنِ أنَّ كثيراً من الناسِ قد جهِلَ هذه التعاليمَ الإسلاميةَ ، وحادَ عنها ، وتعلّقَ بعاداتِ الجاهليةِ من التغالي في المهورِ ورفضِ الزواجِ إلا إذا دفعَ الزوجُ قدْراً كبيراً من المالِ ، وبسببِ ذلك كثُرت الشكوى ، وعانى الناسُ رجالاً ونساءً ما عانوه من الضررِ ، ونتجَ بسببِ ذلك كثيرٌ من الشرورِ والمفاسدِ ، فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واحرصوا كلَّ الحرصِ على تيسيرِ ما أمرَكم اللهُ بتيسيرِه من أمرِ الزواجِ ؛ فإنَّ في ذلك عِفّةً لأنفسِكم ، وعفّةً لأولادِكم ، وعفّةً لمجتمعِكم ، وفي ذلك الوقايةُ من عارِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق/٢ ــ ٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق/٤) ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء/١١٥) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ رِضا المرأة شرطٌ من شروطِ الزواجِ التي لا يتمُّ إلا بها ، فلا يجوزُ للوليِّ أن يزوِّجَ من يلي أمرَ زواجه من النساءِ إلا بإذنها ورضاها ، لا يجوزُ له أن يزوِّجَها رجلاً لم ترضَ به زوجاً ، يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « استأمِروا النساءَ في أبضاعِهنَّ ، وألحِقوهنَّ بأهوائِهنَّ » ، ويقولُ : «الأيِّمُ أحقُّ بنفسِها من وليِّها ، والبِكْرُ تُستأذَنُ في نفسِها ، وإذنُها صُماتُها » ، وعن عائشةَ أمِّ المؤمنين ـــ رضيَ اللهُ عنها ـــ قالت : كانت الخنساءُ ابنةُ خدامٍ الأنصاريةُ زوّجَها أبوها وهي ثيّبٌ ، فكرهت ذلك ، فأتت رسولَ اللهِ ﷺ فأخبرته ، فردَّ نكاحَها .

ومما ينبغي التنبيهُ عليه والانتباهُ له أنَّ رسول اللهِ ﷺ نهى عن الشِّغارِ ، وهو أن يزوِّجَ الرجلُ ابنتَه لرجلٍ على أن يزوِّجَ له الرجلُ الآخرُ ابنتَه ، وليسَ بينهما

صداقٌ ، وكذلك الأختُ بالأختِ ، فإذا وقعَ ذلك على عدمِ الصداقِ فالنهيُ للتحريمِ ، وإذا كان مع الصَّداقِ فالنهيُ للتكريهِ ، والحرُّ يأباه ولا يقبلُه .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتمسّكوا بتعاليمِ دينكم الحنيفِ ، عَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإيّاكم ومُحدثاتِ الأمورِ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٣) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الخطبة الثالثة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي أمرَ بالعدلِ والإحسانِ ، ونهى عن الظلمِ والطغيانِ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، قصمَ الجبّارين ببطشِه بعد أمنِه، وأسبلَ على العاصين سترَه بمنِّه، وتكفّلَ بأرزاقِ البرايا إنسِه وجنِّه ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ القضاةَ ثلاثةٌ : واحدٌ في الجنّةِ ، واثنانِ في النارِ ، أما الذي في الجنةِ فرجلٌ عرفَ الحقَّ وقضى به ، ورجلٌ عرفَ الحقَّ وجارَ في الحكمِ فهو في النارِ ، ورجلٌ قضى للناسِ على جهلٍ فهو في النارِ ، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة/٤٤) ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة/٤٥) ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ (المائدة/٤٧ ـ ٥٠) ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا * لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ (الجن/١٥ ـ ١٧) ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهَ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطًا * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً ﴾ (النساء/١٠٥ ـ ١٠٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء/١٣٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة/٨) ﴿ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ ﴾ (هود/١١٣) ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف/٢٩) ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام/٩٣ ـ ٩٤) ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٢ ـ ١٥٣) .

نفعني الله وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلمُونَ :

يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا يقضينَّ حاكمٌ بين اثنين وهو غضبان » ، وعن عليٍّ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقضِ للأوّلِ حتى تسمعَ كلامَ الآخرِ ، فسوف تدري كيف تقضي » ، وعن أبي هريرةَ قالَ: لعنَ رسولُ اللهِ ﷺ الراشيَ والمرتشيَ في الحكمِ ، وعن ابنِ أبي أوفى قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إنَّ اللهَ مع القاضي ما لم يجُرْ ، فإذا جارَ تخلّى عنه ، ولزمَه الشيطانُ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « من حكمَ بين اثنين فكأنّما ذبحَ نفسَه بغيرِ سكّينٍ » ، وعن جابرِ بنِ زيدٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « يُؤتى بالقاضي يومَ القيامةِ مغلولَ اليدينِ ، إمّا أن يفكَّ عنه عدلُه ، وإما أن يهويَ به جَورُه في النارِ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ

إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ﴿ وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ (البقرة/٤٥ـ٤٦) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شراك أو شراكان من النار

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمته تتمُّ الصَّالحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعته تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه المدبّرُ لكلِّ شيءٍ والجامعُ لكلِّ شيءٍ ، والرازقُ لكلِّ حيٍّ ، قدّرَ الرزقَ المقسومَ ، ووقّتَ الأجلَ المعلومَ ، ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، قصمَ الجبّارين ببطشِه بعد أمنه ، وأسبلَ على العاصين سترَه بمنِّه ، وتكفّلَ بأرزاقِ البرايا إنسه وجنِّه ، ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ،وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّه مما يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يسعى جادّاً في طلبِ الحلالِ لمأكلِه ومشربِه ، وملبسِه ومسكنِه ، وكلِّ ما لا بدَّ له منه في هذه الحياةِ ، وأن يبتعدَ كلَّ البُعدِ من اقترافِ المحرّماتِ ، والانغماسِ في الشهواتِ ، والخوضِ في الشُّبهاتِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً ولا تتبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/١٦٨ ـ ١٦٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة/١٧٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (المائدة/٨٧ ـ ٨٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (المؤمنون/٥١) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء/١٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٧٨ ـ ٢٧٩) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران/١٣٠) .

أيُّها المسلمون :

إنَّ التعاملَ بالحرامِ أكلاً وشرباً ولُبساً ، وبيعاً وشراءً ، وأخذاً وعطاءً ؛ موجبٌ لسخطِ اللهِ تعالى في الدنيا والآخرةِ ، تُمحقُ به البركاتُ ، وتخرَبُ به الديارُ العامرةُ ، ولا يُقبلُ معه عملٌ ، ولا يُستجابُ معه دعاءٌ ، « إنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً» ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة/٢٧) ، « إنَّ الرجلَ ليتخوّضُ في مالِ اللهِ بغيرِ حقٍّ ، فله النارُ يومَ القيامةِ » ، و« مَن لم يُبالِ من أيِّ بابٍ اكتسبَ المالَ لم يُبالِ اللهُ من أيِّ بابٍ أدخلَه النارَ» ، « الدنيا حلوةٌ خضِرةٌ ، مَن اكتسبَ فيها مالاً مِن حِلِّه ، وأنفقَه في حقِّه أثابَه اللهُ ، وأورثَه جنّتَه ، ومَن اكتسبَ فيها مالاً من غيرِ حِلِّه ، وأنفقَه في غيرِ حقِّه ؛ أوردَه اللهُ دارَ الهوانِ » ، و« ربَّ متخوِّضٍ فيما اشتهتْ نفسُه من الحرامِ له النارُ يومَ القيامةِ » ، عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ قالَ : «إنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً ، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين ، فقالَ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (المؤمنون/٥١) ، وقالَ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة/١٧٢) ، ثمّ ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعَثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ : يا ربِّ ، يا ربِّ ، ومطعمُه حرامٌ ، ومشربُه حرامٌ ، وملبسُه حرامٌ ، وغُذِّيَ بالحرامِ ، فأنّى يُستجابُ لذلك؟!» ، وعن أبي هريرةَ قالَ: خرجنا مع رسولِ اللهِ ﷺ عامَ خيبر ، فلم نغنمْ ذهباً ولا فضةً إلا الأموالَ والمتاعَ ، فأهدى رجلٌ من بني ضبيب يقالُ له رفاعةُ بنُ زيدٍ إلى رسولِ اللهِ ﷺ غلاماً أسودَ ، يقالُ له مِدْعم ، فوجّهَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى وادي القُرى ، حتى إذا كنَّا بها بينما مِدعمٌ يحطُّ رِحالَ رسولِ اللهِ

ﷺ إذْ جاءَ سهمٌ غرْبٌ ، فأصابَه ، فقتلَه ، فقالَ الناسُ : هنيئاً له الجنّةُ ، فقالَ النبيُّ ﷺ : «لا والذي نفسي بيدِه ، إنَّ الشملةَ التي أخذَها من المغانمِ يومَ خيبر ، لم تُصبْها المقاسمُ ؛ لتشتعلُ عليه ناراً »، فلما سمعَ الناسُ ذلك جاءَ رجلٌ بشِراكٍ أو شراكين ، فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ : «شِراكٌ أو شِراكان من النارِ»، وعن ابنِ عبّاسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَن حلفَ يميناً على مالِ امرئٍ مسلمٍ ليقطعَه لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان »، وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مَن اقتطعَ حقَّ مسلمٍ بيمينه حرَّمَ اللهُ عليه الجنّةَ ، وأوجبَ له النارَ» ، قالَ له رجلٌ : وإنْ كانَ شيئاً يسيراً؟! يا رسولَ اللهِ ، فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «وإنْ كان قضيباً من أراكٍ ».

أيُّها المسلمون :

إنَّ وجوهَ التعاملِ بالحرامِ كثيرةٌ ، والطرقَ الموصلةَ إليه واسعةٌ ، ومدْخلَ الشيطانِ وجنودِه فيها عريضٌ ، التعاملُ بالربا من آكلِه ومؤكلِه وكاتبِه وشاهديه ، الإرتشاءُ من الراشي والمرتشي والرائشِ ، الخياناتُ والسرقاتُ ، شهادةُ الزُّورِ ، القمارُ والميسرُ ، الأيمانُ الكاذبةُ في الأموالِ ، أكلُ أموالِ اليتامى بغيرِ حقٍّ ، كِتمانُ العيوبِ في البضائعِ ، السِّحرُ والكِهانةُ ، التصويرُ المحرّمُ ، أدواتُ اللهوِ المحرّمِ ، ما يُدفعُ في الزنا والنياحةِ ، الكذبُ في الأسعارِ، الغشُّ في المقاولاتِ والتجاراتِ ، الاحتكارُ في الأقواتِ ، بيعُ المُسكِراتِ والمُخدِّراتِ ؛ كلُّ هذه أنواعٌ من الكُسوبِ المحرّمةِ ، كلُّها مواردُ من مواردِ الحرامِ .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، اتقوا اللهَ في أنفسِكم ، اتقوا اللهَ في أولادِكم ، اتقوا اللهَ في أهليكم ، اتقوا اللهَ في أموالِكم ، اتقوا اللهَ في بيعِكم وشرائِكم ، اتقوا اللهَ

في أخذِكم وعطائكم ، اتقوا اللهَ في جميعِ معاملاتِكم ، اتقوا اللهَ في كلِّ أحوالِكم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ (الطلاق/٢ــــ٣) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق/٤) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف/٩٦) ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقًا ﴾ (الجن/١٦) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) نفعني اللهُ وإياكمْ بهدْي كتابِه .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

إنَّ اللهَ تعالى قسمَ بينكم أرزاقَكم كما قسمَ بينكم أعمارَكم ، فلن تموتَ نفسٌ حتى تستكمِلَ رزقَها وأجلَها ، فاتقوا اللهَ ، وأجمِلوا في الطلبِ ، ولا

يحملنَّكم استبطاءُ الرزقِ على أن تطلبوه بمعصية الله ؛ فإنَّ ما عند الله لا يُطلَبُ إلا بطاعته ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ (هود/٦) ﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاء إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى/٢٧) ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ * وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ * وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف/٣٢ ـ ٣٦) ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/١٨٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرًا * إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا * وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾

(النساء/٢٩ ـ ٣٢) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قول الكذب وشهادة الزور

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانَ وعلّمَه البيانَ ، وجعلَ له السمعَ والبصرَ والجَنانَ ، سبحانه أمرَ بالعدلِ والإحسانِ ، ونهى عن الظلمِ والطغيانِ ، والبغيِ والعدوانِ ، وحذّرَ من قولِ الزُّورِ والبهتانِ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من آفاتِ اللسانِ التي هي عظيمةُ الخطَرِ على الإيمانِ والأخلاقِ ، وكبيرةُ الأثرِ على الأفرادِ والأسرِ والمجتمعاتِ ، والتي تفشّتْ في أوساطِ كثيرٍ من الناسِ ، فوجبَ إنكارُها والتنبيهُ عليها ، والتنفيرُ منها ، والتحذيرُ عنها ؛ هي قولُ الكذبِ وشهادةُ الزورِ ؛ فشهادةُ الزورِ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ ، كيفَ لا ؟! وقد حذّرَ اللهُ سبحانه وتعالى عنها غايةَ التحذيرِ ، أمرَ باجتنابِها والبعْدِ عنها ، وقرنَها بعبادةِ الأوثانِ لفظاعتِها وشدّةِ قبحِها ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** ﴾ (الحج/٣٠ ـ ٣١) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ : «عدلتْ شهادةُ الزورِ الإشراكَ باللهِ عزَّ وجلَّ » ، وقد رويَ أنّه كانَ من دعائه ـ عليه الصلاةُ والسلامُ ـ : « اللهمَّ إنّي أعوذُ بك أنْ أقولَ زوراً ، أو أغشى فجوراً ، أو أكونَ بك مغروراً » ، وعن أبي بكرة عن النبيِّ ﷺ أنّه قالَ : « ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائرِ ؟ » ، قلنا : بلى يا رسولَ اللهِ ، قالَ : « الإشراكُ باللهِ ، وعقوقُ الوالدين » ، وكانَ متكئاً ، فجلسَ فقالَ : « ألا وقولُ الزورِ ، ألا وشهادةُ الزورِ » ، فما زال يكرِّرُها حتى قلنا ليتَه سكتَ .

في هذا الحديثِ الشريفِ يبيّنُ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ شهادةَ الزورِ من أكبرِ الكبائرِ ؛ لأنَّ وراءها ما وراءها من قلبِ الحقائقِ ، وطمسِ معالمِ الحقِّ ؛ من جعلِ الحقِّ باطلاً ، والباطلِ حقّاً ؛ لأنَّ وراءها ما وراءها من تضييعِ الحقوقِ وزرعِ الأحقادِ ، وبعثِ الفتنِ وقطعِ الصِّلاتِ ، وهتكِ الأعراضِ وانتهاكِ الحُرماتِ ، وسفكِ الدماءِ وإزهاقِ الأرواحِ ؛ لأنَّ وراءها ما وراءها من آثارٍ

سيئةٍ ونتائجَ مؤلمةٍ وعواقبَ وخيمةٍ ، فكم من حقوقٍ ضُيِّعت ؟! وكم من أعراضٍ هُتِكت ؟! وكم من حُرُماتٍ انتُهِكت ؟! وكم من دماءٍ سُفِكت ؟! وكم من أرواحٍ أُزهِقت ؟! وكم من شعوبٍ اضطُهِدت ؟! من أجلِ أناسٍ شهدوا زوراً كتابةً أو قولاً ، أو كتموا شهادةً وجبَ عليهم أن يقولوها ، لهذا ونحوِه أظهرَ الرسولُ ﷺ اهتماماً كبيراً وهو يتحدّثُ عن شهادةِ الزورِ ، حتى أنّه غيّرَ الهيئةَ ، فجلسَ بعد أن كانَ متكئاً ، وأخذَ يكرّرُ قولَه : « ألا وقولُ الزورِ ، ألا وشهادةَ الزورِ » حتى تمنّى الصحابةُ ــ رضوانُ اللهِ عليهم ــ سكوتَه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ لتأثّرِهم بما قالَ .

فهل يدري شاهدُ الزورِ إلى مَن أساءَ ؟! نعم ، لقد أساءَ إلى نفسِه ، وأساءَ إلى من شهدَ عليه ، وأساءَ إلى من شهدَ له ، وأساءَ إلى القاضي ، وأساءَ إلى الأمّةِ ، أما إساءتُه إلى نفسِه حيثُ إنّه أسقطَ مروءتَه ، وأضاعَ مترلتَه وكرامتَه ، وسجّلَ على نفسِه خزياً وعاراً ، وألقى بنفسِه في نارٍ حرُّها شديدٌ وعذابُها أليمٌ ﴿ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾ (الحج/١٨) ، وأمّا إساءتُه إلى من شهدَ عليه فحيثُ إنّه أهانَه وأضاعَ حقَّه ، وقطعَ صلتَه التي تجبُ بين المسلمِ وأخيه المسلمِ ، وظلمَه وحقرَه وخذلَه ، وخالفَ فيه قولَ رسولِ اللهِ ﷺ : « المسلمُ أخو المسلمِ، لا يظلمُه ولا يحقرُه ولا يخذلُه ، بحسبِ امرئٍ من الشرِّ أن يحقرَ أخاه المسلمَ، كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ: دمُه ومالُه وعرضُه» ، وأمّا إساءتُه إلى من شهدَ له فحيثُ إنّه أعانَه على الظلمِ ، وأوقعَه في الحرامِ ، وعرّضَه لمقتِ اللهِ وسخطِه ، وصيّرَه ذليلاً بين يدَيْ المنتقمِ الجبّارِ الحكيمِ العادلِ الذي يأخذُ من القويِّ للضعيفِ ، وينتصرُ من الظالمِ للمظلومِ يومَ يتعلّقُ المظلومون بالظالمين ،

يومَ الفزعِ الأكبرِ والهولِ الأعظمِ ، يومَ ﴿ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ (الحج/٢) ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء/٨٨ ـ ٨٩) ، وأمّا إساءتُه إلى القاضي فحيثُ إنّه أتعبَه وأضاعَ وقتَه ، وطمسَ عليه معالمَ الحقِّ ، ولو صدقَه لأراحَه وأراحَ غيرَه ، وأمّا إساءتُه إلى الأمّةِ فحيثُ إنّه لوّثَ سمعتَها ، وأضاعَ الثقةَ بها ، فكلُّ أمّةٍ فشا فيها قولُ الكذبِ وشهادةُ الزورِ سقطت من أعينِ الأممِ .

فما الذي يحملُ شاهدَ الزورِ على هذا الخُلُقِ الذميمِ ، وعلى ذلك الموقفِ المُخجِلِ المَعيبِ ، فإذا كان الحاملُ له على هذه الشهادةِ مالاً يأخذُه ممن شهدَ له ؛ فإنَّ ذلك سُحْتٌ لا بركةَ فيه ، بل هو عارٌ عليه في الدنيا ، وعذابٌ له في الآخرةِ ، فكلُّ لحمٍ نبتَ من حرامٍ فالنارُ أولى به ، وإذا كانَ الحاملُ له على هذه الشهادةِ صحبتَه لمن شهدَ له ؛ فبئست هذه الصحبةُ التي تؤدي إلى سقوطِه وخسرانِه ، وتوقعُه في عذابِ اللهِ وسَخطِه ، « من التمسَ رِضى اللهِ بسخطِ الناسِ كفاه اللهُ مؤونةَ الناسِ ، ومن التمسَ رضى الناسِ بسخطِ اللهِ وكّلَه اللهُ إلى الناسِ » ، « من اتقى اللهَ كفاه اللهُ مؤونةَ الناسِ ، ومن اتقى الناسَ ولم يتقِ اللهَ سلّطَ اللهُ عليه الناسَ وخذلَه » ، وإذا كانَ الحاملُ له على هذه الشهادةِ خوفَ ضررٍ يصيبُه ؛ فليعلمْ أنَّ الصدقَ يُنجيه ، وأنَّ تقوى اللهِ تحميه ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق/٢) ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ (الطلاق/٤) ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ (النحل/١٢٨) ، وإذا كانَ الحاملُ له على هذه الشهادةِ قرابةً بينه وبين المشهودِ له ؛ فليعلمْ أنَّ مَن أبطأ به عملُه لم يُسرِعْ به نسبُه ، ومن ضيّعَ أمرَ اللهِ ضاعَ بين

خلقه ، ودخلَ عليه الضررُ ممن يرجو نفعَه وفضلَه ، وتسلّطَ عليه أقربُ قريبٍ من أهلِه وعشيرتِه ، وليتذكّرْ ذلك الموقفَ الرهيبَ ، وذلك اليومَ العصيبَ ، ذلك اليومَ الذي تتقطّعُ فيه جميعُ الصلاتِ ، وتنحلُّ فيه جميعُ الروابطِ ، فلا تبقى فيه قرابةُ قريبٍ ، ولا صداقةُ صديقٍ ، ولا صلةُ واصلٍ إلا ما كانَ من صلةِ التقوى بين عبادِ اللهِ المتقين ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ ﴾ (المؤمنون/١٠١) ﴿ الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف/٦٧) ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ* ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾ (عبس/٣٤ ــ ٤٢) ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام/٩٤) فاتقوا الله يا عباد الله ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٢) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

يجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يتقيَ اللهَ سبحانه وتعالى ، وأن يلزمَ الصدقَ ، وأن يكونَ مع الحقِّ حيثما كانَ وأينما كانَ ، وأن يحرصَ أن يكونَ ممن أثنى اللهُ عليهم بقوله : ﴿ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾ (المعارج/٣٣) ، وبقولِه : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان/٧٢) ، وعليه أن يؤديَ الشهادةَ على وجهِها ابتغاءَ وجهِ اللهِ سبحانه وتعالى ، لا يريدُ بذلك غرضاً دنيويّاً ، سواء كان المشهودُ له أو المشهودُ عليه بعيداً أو قريباً ، بغيضاً أو حبيباً ، غنيّاً أو فقيراً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء/١٣٥) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة/٨) ﴿ وَلاَ تَكْتُمُواْ الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة/٢٨٣) ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللّهِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة/١٤٠) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ﴿ واتقوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التحـذير من الغفلة

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانَ ، وعلّمَه البيانَ ، وجعلَ له السمعَ والبصرَ والجَنانَ ، سبحانه أمرَ بالعدلِ والإحسانِ ، ونهى عن البغيِ والعدوانِ ، والظلمِ والطغيانِ ، والغفلةِ والعصيانِ ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُمِيتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، قصم الجبارين ببطشه بعد أمنه ، وأسبل على العاصين ستره بمنه ، وتكفل بأرزاق البرايا إنسه وجنه ، ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ شرَّ ما أُصيبت به النفوسُ الغفلةُ عن الهدى ، والإعراضُ عن مسالكِ التقوى ؛ إيثاراً للدنيا ، واتباعاً للهوى ؛ فإنَّ الغفلةَ عن اللهِ تعالى يتولّدُ منها قلّةُ التوفيقِ ، وخمولُ الذكرِ ، وفسادُ القلبِ وظلمتُه ووحشتُه ، وحرمانُ العلمِ ، وحرمانُ الطاعةِ ، والبعدُ من حزبِ الرحمنِ ، والقربُ من حزبِ الشيطانِ ، وعدمُ إجابةِ الدعاءِ ، ومحقُ البركةِ في العمرِ والرزقِ ، وضيقُ الصدرِ ، وطولُ الهمِّ والغمِّ ، إلى غيرِ ذلك من الآفاتِ التي سببُها الغفلةُ عن اللهِ تعالى والدارِ الآخرةِ ، والاغترارُ بالدنيا وشهواتِها ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ (الكهف/٥٧) ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ (الزخرف/٣٦) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (طه/١٢٤ ـ ١٢٧) ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُو الْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ (المطففين/١٠ ـ ١٧) .

وقد وصفَ اللهُ سبحانه وتعالى الغافلين بأقبحِ وصفٍ ، وتوعّدَهم بالوعيدِ الشديدِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (يونس/٧ ـ ٨) ويقولُ سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾ (النحل/١٠٨ ـ ١٠٩) ، ويقولُ جلَّ شأنُه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف/١٧٩) ، أولئك كالأنعامِ ؛ أي التحقوا بالأنعامِ حيثُ أهملوا ما ميّزَهم اللهُ به من العقلِ والتمكّنِ من الفهمِ ، فصاروا كالأنعامِ الفاقدةِ لذلك ، قصروا همّتَهم على الشهواتِ والملذّاتِ ، برزت لهم الدنيا بزينتِها ففتنَتْهم ، وإليها أخلدُوا ، وبها رضوا ، ولها اطمأنّوا حتى ألهتهم عن اللهِ سبحانه وتعالى ، وشغلتهم عن ذكرِه وطاعتِه ، أقاموها فهدمتهم ، واعتزّوا بها من دون اللهِ فأذلّتهم ، أكثروا فيها من الآمالِ ، ونسَوا الموتَ وما وراءه من الأهوالِ ، فخابَ أملُهم ، وضلَّ سعيهم ، وخسروا الدنيا ، و لم يدركوا الآخرةَ ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة/١٩) ، بل هم أضلُّ من الأنعامِ ؛ لأنَّ الأنعامَ تهربُ من مضارِّها ، وتقصدُ منافعَها ، وإذا قارنَها هادٍ اهتدت إلى ما أُريدَ منها ، أما الغافلون فقد أعمتهم الغفلةُ عن التمييزِ بين ما فيه شقاؤهم وما فيه سعادتُهم ، فهم كما وصفَهم ربُّ العزةِ لهم قلوبٌ وأعينٌ وآذانٌ لا ينتفعون

بها ، لا يتعظون ولا يعتبرون ، تمرُّ بهم العِبرُ وهم لاهون غافلون ، وتطرقُهم القوارعُ ، وتنزلُ بساحتِهم الفواجعُ وهم في لهوِهم مشتغلون ، خدعَهم الأملُ عن الاشتغالِ بصالحِ العملِ ، وانغمسوا في ألوانٍ من المعاصي ، فمِن خمرٍ يتعاطَون كأسَها ، ومن معاملاتٍ محرّمةٍ يتعاملون بها ، ومن فواحشَ وجرائمَ يرتكبونها ، ومن أغانٍ مثيرةٍ ، وأفلامٍ مدمِّرةٍ ، وتمثيليّاتٍ خليعةٍ ، ومسرحيّاتٍ ماجنةٍ ، ومسلسلاتٍ هابطةٍ ، وأنواعٍ من السهراتِ التي تقضي على الأخلاقِ والفضيلةِ ، والشهامةِ والرجولةِ ، وتورِثُ الدِّياثةَ والرذيلةَ ، يقضون في مشاهدتِها الليلَ أو أكثرَه ، إلى غيرِ ذلك من المعاصي التي يدعو إليها الشيطانُ ؛ ليصرفَ بها العبادَ عن طاعةِ الرحمنِ ؛ وليستكثرَ بها من جندِه الغافلين الذين حقّت عليهم كلمةُ الله ، فكانوا من الهالكين .

والمعصيةُ ـــ يا عبادَ اللهِ ـــ قبيحةٌ في نفسِها ، قبيحةٌ في وضعِها ؛ لأنّها خروجٌ على أمرِ اللهِ ، وجحودٌ لفضلِه ، وأقبحُ منها المجاهرةُ بها وإعلانُها ، والاستهتارُ بعقوبتِها ، فهو طغيانٌ ليس وراءه من طغيانٍ ، لذلك كان جزاءُ المجاهرِ بالمعصيةِ أشدَّ وأعظمَ من جزاءِ غيرِه ؛كما وردَ في الحديثِ : « كلُّ أمّتي معافى إلا المجاهرين » ؛ أي لا يكون المجاهرون في سلامةٍ وعافيةٍ من عذابِ اللهِ ونقمتِه جزاءَ جرأتِهم عليه ، واستهتارِهم بعقوبتِه ، وانحرافِهم عن طاعتِه ، وإصرارِهم على معصيتِه ، وشقّهم الطريقَ للآخرين بالانحرافِ إلى مسلكِ الرذيلةِ ، فكانوا قدوةً سيئةً ، عليهم وزرُ مَن أضلُّوه وانحرفوا به ، فمَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه وزرُها ووزرُ من عملَ بها إلى يومِ القيامةِ ، والمعصيةُ ـــ يا عبادَ اللهِ ـــ كما أنّها مظهرٌ من مظاهرِ الغفلةِ عن اللهِ تعالى ؛ فهي نكرانٌ

للجميلِ ، وكفرانٌ لنعمةِ المُنعِمِ العظيمِ ، والنعمةُ من حقِّها أن يُشكَرَ عليها المُنعِمُ ولا يُكفَرُ ، وأن يُطاعَ ولا يُعصى ، وأن يُذكَرَ ولا يُنسى ، فإذا انعكسَ الوضعُ ، وقامت المعصيةُ بدلاً من الطاعةِ ؛ كان ذلك نكراناً للجميلِ ، وكفراناً للنعمةِ ، ونزلَ البلاءُ ، وحلّت النِّقمُ ، وعظمَ الخطبُ ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾ (الرعد/١١) ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس/٤٤) ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت/٤٦) ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف/٤٩) ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (النحل/١١٨) . ولعلَّ ما يُلحَظُ مما ابتُليَ به كثيرٌ من الناسِ من المحنِ والشدائدِ التي من جملتِها منعُ الغيثِ ، ونزولُ القحطِ ، ونضوبُ المياهِ ، وانتشارُ الأمراضِ المستعصيةِ أثرٌ من آثارِ الغفلةِ عن اللهِ تعالى ، والتمادي في معصيتِه ، والانحرافِ عن طاعتِه ، فما نزلَ بلاءٌ إلا بذنبٍ ، وما سُلبت نعمةٌ إلا بمقارفةِ معصيةٍ ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الروم/٤١) ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى/٣٠) ، « ما نقضَ قومٌ العهدَ إلا ابتلاهم اللهُ بالقتلِ ، ولا ظهرت فاحشةُ الزنا في قومٍ إلا سلّطَ اللهُ عليهم الطاعونَ ، ولا منعَ قومٌ الزكاةَ إلا منعَ اللهُ عنهم المطرَ » ، « إذا ظهرَ الزنا والربا في قريةٍ أذنَ اللهُ بهلاكِها » ، « ما من قومٍ ظهرَ فيهم الربا والزنا إلا أحلّوا بأنفسِهم عذابَ اللهِ » ، «ما من قومٍ يظهرُ فيهم الربا إلا أُخِذوا بالسَّنَةِ» ؛ أي بمنعِ الغيثِ ونزولِ القحطِ .

أيُّها المسلمون :

إنَّ هذه العقوباتِ الدنيويّةَ الصغيرةَ المنقضيةَ التي ابتُلي بها كثيرٌ من الناسِ بسببِ معاصيهم ؛ ليست بشيءٍ في جانبِ العذابِ المقيمِ ، والإبلاسِ الأبديِّ ، ومقتِ اللهِ تعالى ، والطردِ من رحمتِه ، وإبداءِ الفضائحِ يومَ العرضِ الأكبرِ على رؤوسِ الأشهادِ ، مع ما يصحبُ ذلك من الغمِّ الدائمِ على فوتِ السعادةِ الأبديّةِ ، والمنازلِ العليّةِ في فراديسِ الجِنانِ ، معَ ما يتقدّمُ ذلك للعصاةِ من شدّةِ نزعِ الروحِ ، وغمَراتِ الموتِ ، وعذابِ البرزخِ ، والفزَعِ الأكبرِ عند النفخِ في الصورِ ، وشدّةِ الحسابِ ، وهولِ الموقفِ ، والتفليسِ من الحسناتِ ، وإحداقِ الملائكةِ بالخلْقِ ، وتبريزِ النيرانِ ، والأخذِ بالنواصي والأقدامِ ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ (الأنعام/٩٣ ــ ٩٤) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ (الحشر/١٨ ــ ٢٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِه .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، وراقبوه في السرِّ والعلانيةِ ، في المكرهِ والمنشَطِ ، في العسرِ واليسرِ ، في الشدّةِ والرخاءِ ، في الغضبِ والرضا ، في الفقرِ والغنى ، وانتبهوا من رقدةِ الغَفلاتِ قبلَ الوقوعِ في الهلَكَاتِ ، وبادروا إلى التوبةِ قبلَ فواتِ الأوانِ ، فكلُّ ابنِ آدم خطّاءٌ ، وخيرُ الخطّائين التوّابون ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان/٣٣ ـ ٣٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (فاطر/د ـ ٧) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ

ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المنافقون/٩ ـ ١١) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فتنة الحياة الدنيا

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِه تتمُّ الصَّالحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِه تَطيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه يقولُ في كتابِه العزيزِ : ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ (لقمان/٣٣) ويقولُ : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد/٢٠) ، ويقولُ : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (الملك/٢) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنَّ مَن نظرَ إلى الدنيا بعينِ البصيرةِ أيقنَ أنَّ نعيمَها ابتلاءٌ ، وحياتَها عناءٌ ، وعيشَها نكَدٌ ، وصفوَها كدَرٌ ، وأهلَها منها في وجَلٍ ، إمّا بنعمةٍ زائلةٍ ، أو بليّةٍ نازلةٍ ، أو منيّةٍ قاضيةٍ ، من افتقرَ فيها حزِنَ ، ومَن استغنى فيها فُتِنَ ، حبُّها رأسُ كلِّ خطيئةٍ ، والتكالبُ عليها أصلُ كلِّ بليّةٍ ، والانهماكُ فيها أساسُ كلِّ رزيّةٍ ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (يونس/٢٤ ـ ٢٥) ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا * الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف/٤٥ ـ ٤٦) ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ (الحديد/٢٠) .

والناسُ في هذه الحياةِ طائفتان : طائفةٌ فطناءُ ، علموا أنّها ظـلٌّ زائـلٌ ، ونعيمٌ حائلٌ ، وأضغاثُ أحلامٍ ، بل فهموا أنّها نِعَمٌ في طيِّها نِقَمٌ ، عرفـوا أنَّ هذه الحياةَ الفانيةَ إنّما هي مزرعةٌ للدارِ الباقيةِ ، فلم يغترّوا بها ، ولم تغـرَّهم شهواتُها ولذّاتُها ، بل تساوى عندهم عذبُها وعذابُها ، وتعادلَ في ميـزانِهم تِبرُها وترابُها ، فرضوا منها بالقليلِ ، وقنعوا فيها باليسيرِ ، واستراحت أنفسُهم وأبدانُهم ، وسلمَ لهم منها إيمانُهم ، وكانوا عند اللهِ هم المحمودين ، لم تشغلْهم دنياهم عن طاعةِ مولاهم ، جعلوا الموتَ وما وراءه نصبَ أعينِهم ، فـدبّروا كيف يكونُ مصيرُهم ؟ وتفكّروا كيف يخرجون من الدنيا وإيمانُهم سالمٌ لهم ؟ وما الذي يبقى منها معهم في قبورِهم ؟ وما الذي يتركونه وراءهم مما لا يُغني عنهم من اللهِ شيئاً ؟ وإنّما يبقى عليهم نكالُه ووبالُه ، عرفوا كلَّ هذا فتـأهبوا للسفرِ ، وأعدّوا الجوابَ للحسابِ ، وقدّموا الزادَ للمعَادِ ، فطوبى لهم ، خافوا فأمنوا ، وأحسنوا ففازوا ﴿ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَـا إِنَّ حِـزْبَ اللَّـهِ هُـمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة/٢٢) ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (يونس/٦٢ ـ ٦٤) ﴿ إِنَّ الَّـذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَـا تَحْزَنُـوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾ (فصلت/٣٠ ـ ٣٢) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَـزَاء بِمَـا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأحقاف/١٣ ـ ١٤) ، وطائفةٌ أخرى : جهلاءُ عميُ البصائرِ ، لم ينظروا في أمرِها ، ولم يتكشّفوا سوءَ حالِها ومآلِها ، برزت لهم بزينتِها ففتنتهم ، وإليها أخلدوا ، وبها رضوا ، ولها اطمأنّوا حتى ألهتهم عن اللهِ تعالى ، وشغلتهم عن ذكرِه وطاعتِه ، أقاموها فهدمتهم ، واعتزّوا بها من دون اللهِ فأذلّتهم ، أكثروا فيها من الآمالِ ، ونسوا الموتَ وما وراءه من الأهوالِ ، فخابَ أملُهم ، وضلَّ سعيهم ، وخسروا الدنيا ، ولم يدركوا الآخرةَ ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (المجادلة/١٩) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (يونس/٧ ـ ٨) ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ ﴾ (النحل/١٠٧ ـ ١٠٩) ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴾ (طه/١٢٤ ـ ١٢٧)

أيُها المسلمون :

إنَّ اللهَ سبحانه وتعالى بيّنَ قيمةَ هذه الحياةِ الفانيةِ ، وحالةَ الراكنين إليها ، وعاقبةَ الزاهدين فيها في غيرِ آيةٍ من كتابِه العزيزِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ لاَ

يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُواْ فِي الْبِلاَدِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلاً مِّنْ عِندِ اللّهِ وَمَا عِندَ اللّهِ خَيْرٌ لِّلأَبْرَارِ ﴾ (آل عمران/١٩٦ ــ ١٩٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (هود/١٥ ــ ١٦) ، ويقولُ جلَّ شأنه : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ (الإسراء/١٨ ــ ١٩) ، ويقولُ سبحانه : ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ (الشورى/٢٠) إلى غيرِ ذلك من الآياتِ القرآنيةِ التي يبيّنُ اللهُ سبحانه وتعالى فيها قيمةَ هذه الحياةِ الفانيةِ ، وحالةَ الراكنين إليها ، المتكالبين عليها ، المنهمكين فيها ، وعاقبةَ الزاهدين فيها ، الراغبين عنها ، ولكنَّ كثيراً من الناسِ يتصامون عن كلِّ النُّذُرِ ، ويتعامَون عن جميعِ العبرِ ، اشتغلوا عن الموتِ وما وراءه بزخارفِ هذه الحياةِ الفانيةِ ؛ من المناصبِ والمراتبِ والمكاسبِ والمراكبِ ، إلى غيرِ ذلك من زخارفِ هذه الحياةِ وشهواتها ولذّاتها ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ

مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران/١٤ ـ ١٧)، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

وردَ في الحديثِ القدسيِّ عن ربِّ العزّةِ : « يا ابنَ آدم : لا تخافنَّ من ذي سلطانٍ ما دام سلطاني باقياً ، وسلطاني لا ينفدُ أبداً ، يا ابنَ آدم : لا تخشَ مِن ضيقِ الرزقِ ما دامت خزائني ملآنةً ، وخزائني لا تنفدُ أبداً ، يا ابنَ آدم : لا تأنسْ بغيري وأنا لك ، فإنّك إن طلبتني وجدتني ، وإن أنستْ بغيري فتُكَ وفاتك الخيرُ كلُّه ، يا ابنَ آدم : خلقتُك لعبادتي فلا تلعبْ ، وقسمتُ لك رزقَك فلا تتعبْ ، فإنْ قلَّ فلا تجزعْ ، وإن كثرَ فلا تفرحْ ؛ فإنِ أنتَ رضيتَ بما قسمتُ لك أرحتُ قلبَك وبدنَك ، وكنتَ عندي محموداً ، وإن لم ترضَ بما قسمتُ لك فوعزّتي وجلالي لأسلطنَّ عليك الدنيا ، تركضُ فيها ركضَ الوحشِ في البريّةِ ، ولم يأتِك منها إلا ما قُدِّرَ لك ، وكنتَ عندي مذموماً » ،

ومن حديثِ أنسِ بنِ مالكٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ : « من كانت الدنيا همَّه جعلَ اللهُ فقرَه بين عينيه ، وشتّتَ عليه شملَه ، فلا يُمسي إلا فقيراً ، ولا يصبحُ إلا فقيراً ، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له ، ومن كانت الآخرةُ همَّه جعلَ اللهُ غناه في قلبِه ، وجمعَ عليه شملَه ، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ ، وما أقبلَ عبدٌ إلى اللهِ بقلبِه إلا جعلَ اللهُ قلوبَ المؤمنين تنقادُ إليه بالمودّةِ والرحمةِ ، وكان اللهُ بكلِّ خيرٍ إليه أسرعَ » ، وعن عبدِاللهِ بنِ عمرَ قالَ : أخذَ رسولُ اللهِ ﷺ بمنكبي ، فقالَ: «كنْ في الدنيا كأنّك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ»، وكانَ ابنُ عمرَ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ يقولُ : إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصباحَ ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرِ المساءَ ، وخذْ من صحتِك لمرضِك ، ومن حياتِك لموتِك .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وأطيعوه في السرِّ والعلانيةِ ، في المكرهِ والمنشَطِ ، في العُسرِ واليسرِ ، في الشدّةِ والرخاءِ ، في الغضبِ والرضا ، في الفقرِ والغنى ، واحذروا الغفلةَ عن اللهِ تعالى والدارِ الآخرةِ ، والاغترارَ بالدنيا وشهواتِها ، فهي لا محالةَ زائلةٌ ، فعمّا قليلٍ تُنقلون من دورِكم وأموالِكم إلى حفرٍ ضيقةٍ ، هي إمّا روضةٌ من رياضِ الجنّةِ ، أو حفرةٌ من حفرِ النارِ ﴿ إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى ﴾ (طه/٧٤ ـ ٧٦) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى

كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بسم الله الرحمن الرحيم

إرشادات وتوجيهات

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمته تتمُّ الصَّالحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعته تَطيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّكم بين يدَيْ اللهِ موقوفون ، وعلى أفعالِكم محاسبون ، وبأعمالِكم مجزيّون ، وعلى تفريطِكم نادمون ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ

الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ (النساء/١٢٤) ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (الكهف/٤٩) ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (الأنبياء/٤٧) ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ (الزلزلة/٧ ــ ٨) ، فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، اتقوا اللهَ ربَّكم ، وأطيعوه في السرِّ والعلانيةِ ، في المكرهِ والمنشَطِ، في العسرِ واليسرِ، في الشدّةِ والرخاءِ ، في الغضبِ والرِّضا ، في الفقرِ والغنى ، واحذروا الغفلةَ عن اللهِ تعالى والدارِ الآخرةِ ، والاغترارَ بالدنيا وشهواتِها ، واعملوا لما بعد الموتِ ، فإنّه مَن يُصلحْ ما بينه وبين اللهِ يكفِه اللهُ ما بينه وبين الناسِ ، وحافظوا على دينِكم الحنيفِ ، وتمسّكوا بتعاليمِه ، عَضّوا عليها بالنواجذِ ، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمورِ .

حافظوا على دينِكم ، وأقيموا عمودَه وركنَه العظيمَ ، ألا وهو الصلاةُ ، حافظوا عليها في أوقاتِها بوظائفِها وركوعِها وسجودِها وخشوعِها وأدائِها في الجماعةِ في بيوتِ اللهِ ﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة/٤٥ــ٤٦) ﴿ حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ للّهِ قَانِتِينَ﴾ (البقرة/٢٣٨) ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللّهِ

أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (العنكبوت/٤٥) ، أدُّوا زكاةَ أموالكم طيبةً بها أنفسُكم ، وإيّاكم والتهاونَ بها والتعديَ فيها ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ (التوبة/٣٤ـ٣٥) ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (آل عمران/١٨٠) ، حجُّوا بيتَ ربِّكم إن استطعتم إليه سبيلاً ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران/٩٧) برّوا آباءَكم وأمهاتِكم ، وصِلُوا أرحامَكم ، وأدّوا حقوقَ جيرانِكم ، وخالقوا الناسَ بخُلُقٍ حسنٍ ، وقولوا للناسِ حسناً ، صِلوا مَن قطعَكم ، وأعطوا مَن حرمَكم ، واعفوا عمَّن ظلمَكم ، وأحسنوا إلى مَن أساءَ إليكم ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الأعراف/١٩٩) ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ (فصلت/٣٤ـ٣٥) ، طهِّروا قلوبَكم من العُجبِ والكِبرِ والحسدِ والرياءِ وسائرِ الأدرانِ التي تكنُّها النفوسُ ، وتحويها الضمائرُ ، فلا طيبَ للحياةِ ولا هناءَ للعيشِ إلا إذا سلمت القلوبُ من الأذى ، وبرِئتْ من الأمراضِ الاجتماعيّةِ الخطيرةِ ، وحلَّ محلَّها التواضعُ والمحبّةُ والرحمةُ ، «ألا وإنَّ في الجسدِ لمضغةً ، إذا صلحت صلحَ الجسدُ كلُّه ، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّه ، ألا وهي القلبُ» ، طهِّروا ألسنتَكم من الكذبِ

والغيبةِ والنميمةِ ، والأيمانِ الفاجرةِ وشهادةِ الزورِ، وقذفِ المحصَنين والمحصَناتِ ، والتقوّلِ على اللهِ بغير علمٍ والحلفِ بغيرِ اللهِ ، إلى غيرِ ذلك من آفاتِ اللسانِ ، فاللسانُ هو أخطرُ شيءٍ على الإنسانِ ، و« إنَّ الرجلَ ليتكلّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ لا يظنُّ أن تبلغَ ما بلغت يهوي بها في النارِ أبعدَ ممّا بين المشرقِ والمغربِ » .

واتقوا اللهَ في معاملاتِكم ، في بيعِكم وشرائِكم ، وأخذِكم وعطائِكم ، فمَن لم يُبالِ من أيِّ بابٍ اكتسبَ المالَ لم يُبالِ اللهُ من أيِّ بابٍ أدخلَه النارَ ، « الدنيا حلوةٌ خضِرةٌ ، مَن اكتسبَ فيها مالاً مِن حلِّه، وأنفقَه في حقِّه أثابَه اللهُ ، وأورثَه جنّتَه ، ومَن اكتسبَ فيها مالاً من غيرِ حلِّه ، وأنفقَه في غيرِ حقِّه ؛ أوردَه اللهُ .دارَ الهوانِ » ، و« ربَّ متخوِّضٍ فيما اشتهت نفسُه من الحرامِ له النارُ يومَ القيامةِ » ، ردُّوا المظالمَ إلى أهلِها كثيرِها وقليلِها ، «ردُّوا الخيطَ والمِخْيَطَ»، « شِراكٌ أو شِراكان من النارِ » ، « القليلُ من أموالِ الناسِ يورثُ النارَ» ، « الذنبُ ذنبانِ: ذنبٌ بين العبدِ وربِّه ، وذنبٌ بين العبدِ وصاحبِه ، أمّا الذنبُ الذي بين العبدِ وربِّه فمن تابَ منه كانَ كمَن لا ذنبَ له ، وأمّا الذنبُ الذي بينه وبين صاحبِه فلا توبةَ منه إلا بردِّ المظالمِ إلى أهلِها».﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ (النساء/١٠) ﴿ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة/١٨٨) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا

وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ (النساء/٢٩ـ ٣٠) ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة / ٢٧٩) ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة/١٠٥) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كِتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ الإنسانَ لو عاشَ في هذه الحياةِ الفانيةِ مئات من السنين في رغدٍ من العيشِ ، في القصورِ العاليةِ ، والبساتينِ الغنّاءِ ، في نعمةٍ شاملةٍ ، وعافيةٍ كاملةٍ ، متنعِّماً فيها بكلِّ نفيسةٍ ، متلذِّذاً فيها بكلِّ نعمةٍ ؛ فلا بدَّ له من ساعةٍ يتغصغصُ فيها بسكراتِ الموتِ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران/١٨٥) ، فاستعِدُّوا رحِمَكم اللهُ لدارٍ أعدَّ اللهُ سبحانه وتعالى فيها لعبادِهِ الصالحين ما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ

سمعت ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (السجدة/١٧) ، استعدّوا لدارٍ لا يفنى شبابُها، ولا يبلى نعيمُها ، ولا يتكدّرُ صفوها، ولا يتغيّرُ سرورُها، ولا يتنغّصُ عيشُها، ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وِظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ (الرعد/٣٥) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحسد

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِهِ تتمُّ الصَّالِحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِهِ تَطيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه يقول في كتابه العزيز: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (الحج/٤٦) ويقول : ﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك/١٣ ــ ١٤) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكَّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنّه لا طِيبَ للحياةِ ، ولا هناءَ للعيشِ إلا إذا سلمت القلوبُ من الأذى ، وبرِئت من الأمراضِ الاجتماعيّةِ الخطيرةِ ، وحلَّ محلَّها التواضعُ والمحبةُ والرحمةُ ، ألا وإنَّ مِن أقبحِ تلك الأمراضِ التي تكنُّها النفوسُ ، وتحويها الضمائرُ ، وأشدِّها خطراً على المجتمعِ الإنسانيِّ هو الحسدُ ، والحسدُ : هو كراهةُ نعمةِ الغيرِ ، وتمنّي زوالِها بلا حقٍّ ، وهو خلُقٌ مذمومٌ ، ومرضٌ اجتماعيٌّ مشومٌ ، هو الداءُ العُضالُ الذي ابتُليَ به كثيرٌ من الناسِ ، فأوغلَ صدورَهم ، وأفسدَ ضمائرَهم ، ومزّقَ وحْدتَهم ، وفرَّقَ شمْلَهم ، وهو أوّلُ ذنبٍ عُصِيَ اللهُ به ، فإبليس لم يحملْه على تركِ السجودِ لأبينا آدم ـــ عليه السلامُ ـــ إلا الحسدُ ، كما أنَّ قابيلَ لم يحملْه على قتلِ أخيه هابيلَ سوى الحسدِ ، وأيُّ ذنبٍ أعظمُ من كراهتِك لراحةِ مسلمٍ ، وتمنّي زوالِها ؟! والحسدُ كبيرةٌ من كبائرِ الذنوبِ ، لذلك حذّرَ الشارعُ منه غايةَ التحذيرِ ، ونفّرَ منه غايةَ التنفيرِ ، كيفَ لا ؟! وقد جعلَه اللهُ سبحانه وتعالى من صفاتِ المنافقين ، يقولُ عزَّ من قائلٍ في المنافقين ، وبيانِ ما تكنُّه نفوسُهم القذرةُ ، وتحويه ضمائرُهم الخبيثةُ من الكيدِ والمكرِ وأنواعِ الأذى لجماعةِ المسلمين ﴿ **وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ** ﴾ (آل عمران/١١٨) ؛ أي تمنَّوا مشقتَكم وشدةَ ضررِكم ، قد بدت البغضاءُ في كلامِهم ؛ لأنّهم كانوا لا يتمالكون مع مبالغتِهم في إخفاءِ ما في أنفسِهم أن ينفلت من

ألسنتِهم ما يفضحُ أمرَهم ، ويُعلمُ به بغضُهم للمسلمين ، فالحاسدُ مهما بالغَ في إخفاءِ ما تكنُّه نفسُه ، ويحويه ضميرُه من كراهةِ المحسودِ ، فهو لا محالةَ مفضوحٌ ، ونارُ الحسدِ تتغلّبُ عليه ، ويظهرُ حسدُه على وجهِه ، وفي عينيه ولسانه ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (آل عمران/١١٩ ــ ١٢٠) ، فبيّنت الآيةُ الكريمةُ أنَّ الحسدَ والشماتةَ من صفاتِ المنافقين ، وأنّهما لا يضرّانِ المحسودَ ولا المشموتَ به إذا اتقى معاصيَ اللهِ ، وابتعدَ عمّا عنه نهاه ، وصبرَ على مشاقِّ التكاليفِ وعلى أنواعِ الأذى من المنافقين ، ولم ينتقمْ منهم لنفسِه ، بل فوّضَ فيهم الأمرَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى .

وقد جاءَ التحذيرُ من الحسدِ عن رسولِ اللهِ ﷺ في أحاديثَ كثيرةٍ ، فعن ابنِ مسعودٍ ــ رضيَ اللهُ عنه ــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « إيّاكم والحسدَ والظنَّ والبغيَ ؛ فإنّه لا حظَّ في الإسلامِ لمن فعلَ ذلك ، ولا حظَّ في الإسلامِ لمن فيه إحدى هذه الخصالِ » ، وعن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «إيّاكم والظنَّ ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تجسّسوا ، ولا تحسّسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً » ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً ، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوق ثلاثٍ» ، وروِيَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ أنّه قالَ : « إيّاكم والحسدَ ؛ فإنَّ

الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكلُ النارُ الحطبَ » ؛ أي إنَّ حسناتِ الحاسدِ مردودةٌ عليه ، وليست بثابتةٍ في ديوان عملِه ؛ لأنَّ الحسدَ في المعنى هو اعتراضٌ على اللهِ سبحانه وتعالى فيما لا عذرَ للعبدِ فيه ؛ إذ لا تضرُّه نعمةُ اللهِ على أخيه ، واللهُ عزَّ وجلَّ حكيمٌ في قسمةِ الحظوظِ بين خلقِه ، لا يضعُ الشيءَ إلا في موضعِه ، فكأنَّما الحاسدُ لا يرضى بقسمةِ هذه الحظوظِ بين خلقِه ، ويعترضُ على اللهِ عزَّ وجلَّ ، لذلك رُدّت حسناتُه ، ولم تبقِ في صحيفةِ عملِه ، قالَ بعضُ العارفين : الحاسدُ جاحدٌ ؛ لأنّه لا يرضى بقضاءِ الواحدِ ، وقالَ بعضُ العارفين : نظرتُ في هذا الخلقِ ، وهم يطعنُ بعضُهم في بعضٍ ، ويلعنُ بعضُهم بعضاً ، وأصلُ هذا كلِّه الحسدُ ، ثم نظرتُ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (الزخرف/٣٢) ، فعلمتُ أنَّ القسمةَ من عند اللهِ وحده، فاجتنبتُ الحسدَ وتركتُ عداوةَ الخلقِ ، وجاءَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « الحسدُ يُفسِدُ الإيمانَ كما يُفسِدُ الصبرَ العسلَ » ؛ أي لا يجتمعُ في قلبِ المرءِ إيمانٌ صحيحٌ وحسدٌ على نعمةٍ لمسلمٍ ؛ لأنَّ الرضا بقضاءِ اللهِ جزءٌ من أجزاءِ الإيمانِ التي لا يتمُّ إلا بها ، وروىَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « سيُصيبُ أمّتي داءَ الأممِ » ، قالوا : وما داءُ الأممِ ؟ قالَ : « الأشَرُ والبطَرُ والتكاثرُ والتنافسُ في الدنيا والتباغضُ والتحاسدُ حتى يكونَ البغيُ ، ثم يكونَ الهَرْجُ » ، فالأشرُ : هو كفرُ النعمةِ ، والبطرُ : هو الطغيانُ عند توفّرِ النعمةِ ، والبغي : هو مجاوزةُ الحدِّ ، والاعتداءُ على خلقِ اللهِ ، والمرادُ بالهرجِ : هو القتلُ ، ففي الحديثِ الشريفِ تحذيرٌ شديدٌ من التشاحنِ

في الدنيا ، والتحاسدِ عليها ؛ لأنَّ ذلك أصلُ الفتنِ ، وعنه تنشأُ الشرورُ والبلايا .

وقد أثنى اللهُ سبحانه وتعالى على الأنصارِ بسلامةِ صدورِهم من الأذى ، وصفاءِ نفوسِهم ، وطهارةِ ضمائرِهم من أدرانِ الحسدِ في قولِه عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر/٩) ؛ أي لا تضيقُ صدورُهم برؤيةِ النعمةِ عند إخوانِهم ، ولا يغتمّون لذلك ، وقد وردَ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أخبرَ عن رجلٍ من الأنصارِ أنّه من أهلِ الجنّةِ ، فأرادَ بعضُ الصحابةِ أن ينظرَ عملَه الذي استوجبَ به تلك البِشارةَ ، فباتَ معه ثلاثَ ليالٍ ، يرقبُ أحوالَه في حركاتِه وسكناتِه ، فلم يرَه يقومُ من الليلِ شيئاً حتى يطلعَ الفجرُ ، غيرَ أنّه إذا تقلّبَ على فراشِه ذكرَ اللهَ ، قالَ : ولكن ما سمعتُه يقولُ إلا خيراً ، فلما مضت الثلاثُ أخبرَه ببشارةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، وقالَ له : ما رأيتُك تعملُ عملاً يُوجبُ تلك البِشارةَ ! فما الذي بلغَ بك ذلك ؟ ! قالَ : ما هو إلا ما رأيتَ ، غيرَ أنّي لا أجدُ على أحدٍ من المسلمين في نفسي غشّاً ولا حسداً على خيرٍ أعطاه اللهُ إيّاه ، فقالَ : هي التي بلغتْ بك ذلك ، وهي التي لا نطيقُ .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واعلموا أنَّ الحسود لا يسودُ ، ولا يبلغُ المقصودَ ، ولا ينالُ من الناسِ إلا بغضاً وذمّاً ، ولا ينالُ من الدنيا إلا حسرةً وهمّاً ، وكمداً وغمّاً ، ولا ينالُ يومَ القيامةِ إلا حسرةً وندامةً ، فمن أرادَ حياةً هنيئةً ، وسعادةً أبديّةً ؛ فليجتنبِ الحسدَ ، وليبتعدْ كلَّ البعدِ من الأمراضِ التي تكنُّها

النفوسُ ، وتحويها الضمائرُ ﴿ رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران/٨) ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحشر/١٠) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضل خلق الله أجمعين ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ للحسدِ آثاراً سيئةً ، ونتائجَ مؤلمةً ، وعواقبَ وخيمةً ، وحسبُكم في ذمِّ الحسدِ وقبحِه أنّه يأكلُ الحسناتِ ، ويُفسِدُ الطاعاتِ ، ويبعثُ على الخطايا والبلايا ، ويُفضي بصاحبِه إلى ارتكابِ كثيرٍ من المعاصي ؛ كالسبِّ والشتمِ ، والغيبةِ والنميمةِ ، وكثيراً ما يُفضي إلى التنازعِ والتخاصمِ ، والتقاتلِ ، والسعي في إفسادِ النعمةِ بالطرقِ الملتويةِ والحِيلِ القبيحةِ ، فهو ظلمٌ شديدٌ ، وبغيٌ قبيحٌ .

وقد أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بالاستعاذةِ من شرِّ الحاسد كما أمرَ بالاستعاذةِ من شرِّ الشيطانِ الرجيمِ ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ *

مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ (الفلق/١ ـ ٥) فاتقوا الله يا عبادَ الله ، وطهِّروا قلوبَكم من الحسد ، وكونوا عبادَ الله إخواناً ﴿ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكِبْـــر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الكبيرِ المتعالِ ، ذي الجلالِ والإكرامِ ، سبحانه له المجدُ والثناءُ ، والعظمةُ والكبرياءُ ، ﴿ **وَلَهُ الْكِبْرِيَاء فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ (الجاثية/٣٧) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من الصفاتِ الذميمةِ ، والآفاتِ العظميةِ ، والخصالِ المهلكةِ التي حذّرَ منها اللهُ سبحانه وتعالى ورسولُه غايةَ التحذيرِ ؛ هو الكِبْرُ الذي ابتُلي به كثيرٌ من الناسِ ، فصارَ سبباً لهلاكِهم ، والكِبْرُ هو من شرِّ المعاصي ومن أعظمِ الكبائرِ ، هو داءٌ وبيلٌ ، ومرضٌ اجتماعيٌّ خطيرٌ ، يسلبُ الفضائلَ ، ويَكسبُ الرذائلَ ، ويورثُ الحقدَ ، ويثيرُ الغضبَ ، ويُعمي المرءَ عن عيوبِه ، ويحولُ بينه وبين العلمِ والانقيادِ للحقِّ ، فما من خُلُقٍ ذميمٍ إلا والكبرُ يجرُّ إليه ، وهو أولُ ذنبٍ استوجبَ به إبليسُ اللعنةَ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ (ص/٧٥ ـ ٧٨) ، وقد أوضحَ الرسولُ ﷺ معنى الكبرِ في الحديثِ الذي رواه مسلمٌ عن عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « لا يدخلُ الجنّةَ مَن كانَ في قلبِه مثقالُ ذرّةٍ من كبرٍ » ، فقالَ له رجلٌ : إنَّ الرجلَ يحبُّ أن يكونَ ثوبُه حسَناً ونعلُه حسناً ، قالَ : « إنَّ اللهَ جميلٌ يحبُّ الجمالَ ، الكبرُ بَطَرُ الحقِّ وغمطُ الناسِ » ، فبطَرُ الحقِّ : دفعُه وردُّه على قائلِه ، وغمْطُ الناسِ : احتقارُهم والازدراءُ بهم .

فالرسولُ ﷺ يبيّنُ في هذا الحديثِ أنَّ التجمّلَ في المظهرِ واللباسِ أمرٌ محبوبٌ عند اللهِ سبحانه وتعالى ، وليس هو الكبرَ ، وإنّما الكِبرُ صفةٌ باطنةٌ في القلبِ ، تظهرُ آثارُها في تصرّفاتِ الشخصِ ، فتحملُه على عدمِ الانقيادِ للحقِّ وعلى احتقارِ الناسِ ، فإبليسُ لما تكبّر على آدم ـ عليه السلامُ ـ حملَه ذلك على الامتناعِ من امتثالِ أمرِ اللهِ له بالسجودِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا**

لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة/٣٤) ، والكِبْرُ هو الذي حملَ الكفارَ على مخالفةِ الرسلِ لَمّا جاءوهم بالآياتِ البيّناتِ ﴿ فَلَمَّا جَاءتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (النمل/١٣ ــ ١٤) ، والكبرُ هو الذي يحملُ بعضَ الناسِ على تركِ عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ ودعائه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر/٦٠) ، والكبرُ هو الذي يحملُ بعضَ الناسِ الذين أُوتوا شيئاً من الثروةِ أو الرياسةِ أو الولايةِ على التخلّفِ عن صلاةِ الجماعةِ ، فترى المسجدَ قريباً من دارِ أحدِهم ، وهو يسمعُ النداءَ ، ولا تدعُه نفسُه يذهبُ إلى المسجدِ ليقومَ بين يدَيْ اللهِ مع المصلّين ؛ لأنّه يرى نفسَه أكبرَ من ذلك ، والكبرُ هو الذي يحملُ بعضَ الناسِ على تركِ العملِ بسنّةِ رسولِ اللهِ ﷺ ، رويَ أنَّ رجلاً أكلَ بشمالِه عند النبيِّ ﷺ ، فقالَ له ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ : «كلْ بيمينك» ، قالَ : لا أستطيعُ ، قالَ : « لا استطعتَ » ، ما حملَه على ذلك إلا الكبرُ ، فأُصيبت يمينُه بالشللِ ، فلم يستطعْ أن يرفعَها بعد ذلك ، والكبرُ هو الذي يحملُ بعضَ الناسِ على تركِ تعلّمِ العلمِ النافعِ ، قالَ بعضُ السلفِ : إنَّ هذا العلمَ لا ينالُه مستحٍ ولا مستكبرٌ .

أيُّها المسلمون : .

لقدْ جاءَ التحذيرُ الشديدُ والزجرُ البالغُ عن الكِبْرِ في كثيرٍ من الآياتِ القرآنيةِ والأحاديثِ النبويةِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ

مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾ (الإسراء/٣٧) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان/١٨) ويقولُ جلَّ شأنُه : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (القصص/٨٣) ، وجاءَ عن النبيِّ ﷺ : « اجتنبوا الكِبْرَ ؛ فإنَّ العبدَ لا يزالُ يتكبّرُ حتى يقولَ اللهُ تعالى : اكتبوا عبدي هذا في الجبّارين » ، وفي حديثٍ آخرَ : «لا يزالُ العبدُ يذهبُ بنفسِه ــ أي يترفّعُ ويتكبّرُ ــ حتى يُكتَبَ في الجبّارين ، فيصيبَه ما أصابَهم » ، ورويَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ : « يُحشَرُ المتكبّرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذرِّ ، يطؤهم الناسُ ، يغشاهم العذابُ من كلِّ مكانٍ » ، ورويَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ : « لا يدخلُ النارَ من كانَ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من إيمانٍ ، ولا يدخلُ الجنّةَ أحدٌ في قلبِه مثقالُ حبّةٍ من خردلٍ من كِبْرٍ » ، وجاءَ عنه ﷺ : « ألا أُخبرُكم بأهلِ النارِ ؟ كلُّ عُتُلٍّ جوّاضٍ مستكبرٍ » ، فالعُتُلُّ : هو الغليظُ الجافي ، والجوّاضُ : هو الجموعُ المنوعُ ، وجاءَ عنه ــ عليه الصلاةُ والسلامُ ــ : « ما من رجلٍ يختالُ في مشيتِه ، ويتعاظَمُ في نفسِه إلا لقيَ اللهَ وهو عليه غضبان » ، وجاءَ عنه ﷺ : «إنَّ اللهَ أذهبَ عنكم نخوةَ الجاهليةِ وتكبّرَها بالآباءِ ، كلُّكم لآدم وآدم من ترابٍ ، ليسَ إلا مؤمنٌ تقيٌّ أو فاجرٌ شقيٌّ وأكرمُكم عند اللهِ أتقاكم » ، وفي الحديثِ القُدُسيِّ : « الكبرياءُ ردائي ، والعظمةُ إزاري ، فمَن نازعني واحداً منهما قذفتُه في النارِ » ، فعبّرَ بالإزارِ والرداءِ عن الخصوصيّةِ ؛ أي إنَّ العظمةَ

والكبرياءَ مختصَّانِ بي ، فلا يُنازِعُني أحدٌ في شيءٍ منهما ؛ كما يختصُّ أحدُكم بإزارِه ورِدائه ، فلا ينازِعُه فيهما منازِعٌ .

فعلى المسلمِ أن يجتنبَ الكِبرَ ، وأن يعالجَه ويدفعَه عن نفسِه بأن يعرفَ فقرَه وحاجتَه وأصلَه ونشأتَه ، يكفيه أن ينظرَ إلى أصلِه الذي خُلِقَ منه ، وإلى مصيرِه الذي سيصيرُ إليه ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾ (القيامة/٣٧ ــ ٤٠) ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ (الإنسان/١ ــ ٣) ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ *ثُمَّ إِذَا شَاء أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ (عبس/١٧ ــ ٢٣) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ من العقوباتِ التي يوجِبُها الكبرُ حرمانَ الحقِّ وعمى القلبِ عن معرفةِ آياتِ اللهِ وفهمِ أحكامِه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ (البقرة/٢٠٤ ـ ٢٠٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ (الأعراف/١٤٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر/٣٥) ، ومن العقوباتِ التي يوجِبُها الكبرُ مقتُ اللهِ وبغضُه ، يقولُ سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ (النحل/٢٣) ، ويقولُ جلَّ شأنُه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ (لقمان/١٨) ، ومن العقوباتِ التي يوجِبُها الكبرُ الخزيُ والهوانُ ، فقد وردَ : « أنَّ المتكبِّرَ لا يموتُ حتى يرى الهوانَ من أرذلِ أهلِه وخدمِه » ، وعن أبي هريرةَ ـ رضيَ اللهُ عنه ـ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « بينما رجلٌ يمشي في حُلَّةٍ تعجِبُه نفسُه مرجِّلٌ جمَّتَه إذ خسفَ اللهُ به ، فهو يتجلجلُ إلى يومِ القيامةِ » ، وفي حديثٍ آخرَ : « بينما رجلٌ يجرُّ إزارَه خسفَ اللهُ به ، فهو يتجلجلُ في الأرضِ إلى يومِ القيامةِ » ،

وعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : « مَن عظَّمَ نفسَه للناسِ وضعَه اللهُ ، ومن تواضعَ للهِ رفعَه اللهُ » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وطهِّروا قلوبَكم من الكِبْرِ ومن سائرِ الأدرانِ ، فلا طيبَ للحياةِ ، ولا هناءَ للعيشِ إلا إذا سلمت القلوبُ من الأذى ، وبرئت من الأمراضِ الاجتماعيةِ الخطيرةِ ، وحلَّ محلَّها التواضعُ والمحبةُ والرحمةُ ، « ألا وإنَّ في الجسدِ لمضغةً، إذا صلحت صلحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسدَ الجسدُ كلُّه، ألا وهي القلبُ » ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بالشكرِ تدومُ النِّعَمُ

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمِينَ ، الحمدُ للهِ البرِّ الكريمِ ، الرؤوفِ الرحيمِ ، ذي الفضلِ والتكريمِ ، والإحسانِ العميمِ ، سبحانه لا يفنى دوامُه ، ولا تُحصى أنعامُه ، عنده مفاتحُ الغيبِ لا يعلمُها إلا هو ، وهو علّامُ الغيوبِ ، المدبّرُ لكلِّ شيءٍ ، والجامعُ لكلِّ شيءٍ ، والرازّقُ لكلِّ حيٍّ ، قدّرَ الرزقَ المقسومَ ، ووقّتَ الأجلَ المعلومَ ، ﴿ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيهِ ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُمِيتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، قصم الجبارين ببطشه بعد أمنه ، وأسبل على العاصين ستره بمنه ، وتكفل بأرزاق البرايا إنسه وجنه ، ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة/٢٥٥) ،وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ

مَنِ اهْتدى بهدْيِه ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِه إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيه رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أنّه مما يجبُ على كلِّ مكلَّفٍ أن يعلمَ النعمةَ التي أنعمَ اللهُ بها عليه ، أوجدَه بعد العدَمِ ، وأنعمَ عليه بصنوفِ النِّعمِ ، وبسطَ له من واسعِ الكَرَمِ ، ورزقَه الصحةَ من السّقمِ ، واختارَ له الإسلامَ ديناً وصراطاً مستقيماً ، إلى غيرِ ذلك من المِننِ التي امتنَّ اللهُ سبحانه وتعالى بها على الإنسانِ ، ويجبُ عليه أن يُقابِلَ هذه النعمَ بشكرِ المُنعِمِ ؛ فإنَّ الشكرَ على النعمِ واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ، هو ديدنُ كلِّ مؤمنٍ ، وطابعُه الذي يتسم به ، هو الذي يردُّ النفوسَ الجامحةَ إلى مقامِ العبوديّةِ ، ويعيدُ الرؤوسَ الشامخةَ إلى التذلّلِ والاعترافِ لواهبِ النعمِ ، «عجباً لأمرِ المؤمنِ ، إنَّ أمرَه كلَّه له خيرٌ ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمنِ ، إنْ أصابتْه سراءُ شكرَ ، فكانَ خيراً له ، وإنْ أصابتْه ضراءُ صبرَ ، فكانَ خيراً له» ، وقد أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى بالشكرِ في غيرِ آيةٍ من كتابِه العزيزِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (فاطر/٣) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ ﴾ (البقرة/١٥٢) ، ويقولُ جلَّ شأنُه : ﴿ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

(البقرة/١٧٢) ، ويقولُ عزَّ وجلَّ : ﴿وَاشْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (النحل/١١٤)

أيها المسلمون :

إنَّ الشكرَ الحقيقيَّ لا يكونُ باللسانِ فحسب ، فليسَ الشاكرُ هو الذي يحمدُ اللهَ ويشكرُه بلسانه وقلبُه غافلٌ معرِضٌ ، وأعمالُه بخلافِ ما يُرضي اللهَ سبحانه وتعالى ، وإنّما الشكرُ الحقيقيُّ يكونُ بالقلبِ وباللسانِ وبالجوارحِ ، فالشكرُ بالقلبِ : هو الاعترافُ أنَّ هذه النعمَ نِعمٌ امتنَّ اللهُ سبحانه وتعالى بها عليه تفضّلاً وإحساناً ، لا بحولِه ولا بقوّته ، والشكرُ باللسانِ : هو التحدّثُ بها ظاهراً ، فيحمدُ اللهَ ويشكرُه ، ويُثني عليه ، ولا ينسبُ النِّعمَ إلى غيرِه ، والشكرُ بالجوارحِ : الاستعانةُ بها على مرضاةِ اللهِ باستعمالِها في طاعتِه ، وكفّها عن معصيتِه ، ومَن كفرَ نعمَ اللهِ ، ولم يؤدِّ شكرَها ؛ كانت النعمةُ وبالاً عليه ، فهي بين أمرينِ : إمّا أن تُسلبَ عنه بالحالِ ، وإمّا أن تبقى ليغترَّ المجرمون بها ، وليزدادوا من الإثمِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (آل عمران/١٧٨) ، ويقول سبحانه : ﴿ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (المؤمنون/٥٥ ــ ٥٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ (القلم/٤٤ ــ ٤٥) .

وفيما قصَّه علينا القرآنُ الكريمُ من أخبارِ الأممِ الماضيةِ ، وما حلَّ بهم من الانتقامِ منهم من قصْمِ الأعمارِ ، وخرابِ الديارِ بسببِ كفرِهم بنعمِ اللهِ ،

وعدمِ شكرِهم لها ؛ عظةٌ للمتعظين ، وعبرةٌ للمعتبرين ، وذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص/٥٨) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴾ (النحل/١١٢) ؛ أي جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى هذه القريةَ مثَلاً لمن أنعمَ اللهُ عليه بالنعمةِ ، فكفرَ بها ، ولم يؤدِّ شكرَها ، فأنزلَ اللهُ عليه النقمةِ ؛ حيث وفّرَ لأهلِ هذه القريةِ الأمانَ والاطمئنانَ ، والرزقَ الرغدَ الذي يُجبى إليها من جميعِ النواحي ، وعندما كفرتْ بنعمِ اللهِ ، ولم تؤدِّ شكرَها ؛ انقلبت هذه النعمُ إلى أضدادِها ، فبُدِّلُوا بالنعمةِ نقمةً ، وبالأمانِ والاطمئنانِ خوفاً وقلقاً ، وبالرزقِ الرغدِ جوعاً وفقراً. وممّا قصَّه علينا القرآنُ الكريمُ قصّةُ قارونَ الذي آتاه اللهُ سبحانه وتعالى الأموالَ الكثيرةَ ، والكنوزَ العظيمةَ ، وعندما قالَ له قومُه : ﴿ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (القصص/٧٦ ـ ٧٧) ؛ كان جوابُه إنكارَه نعمةَ اللهِ عليه ، وأنَّ هذه الأموالَ وهذه الكنوزَ استحقَّها بعلمِه وخبرتِه : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ (القصص/٧٨) ، فماذا كانت النتيجةُ ؟ كانت النتيجةُ أسوأَ النتائجِ ؛ حيثُ خسفَ به وبدارِه الأرضَ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ * وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا

مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾ (القصص/٨١ ـ ٨٢) . وممّا قصّه علينا القرآنُ الكريمُ قصّةُ قبيلةِ سبأ الذين منَّ اللهُ عليهم بالبلدةِ الطيبةِ ذاتِ الهواءِ الطيبِ ، والأشجارِ المتنوعةِ ، والأثمارِ اليانعةِ ، وعندما كذَّبوا أنبياءَ اللهِ ، وكفروا بنعمِ اللهِ ، ولم يؤدّوا شكرَها ؛ أرسلَ اللهُ عليهم سيلَ العرِمِ ، وهو الوادي الممتلئُ بالماءِ الغزيرِ الذي أغرقَ مساكنَهم ، وأهلكَ حروثَهم وأشجارَهم ، فبُدِّلُوا بالنعمةِ نقمةً ، وبالاجتماعِ تشتّتاً وتفرّقاً حتى صار يُضربُ بهم المثلُ ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ *وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (سبأ/١٥ ـ ١٩) .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، واشكروه على نعمِه التي أسبغَها عليكم ، امتثلوا أوامرَه ، واجتنبوا نواهيَه ، راقبوه في السرِّ والعلانيةِ ، حافظوا على الصلواتِ ، واحضروا الجُمَعَ والجماعاتِ ، طهِّروا بيوتَكم من آلاتِ اللهوِ والصُّورِ وسائرِ المحرماتِ ، وتآمروا بالمعروفِ ، وتناهَوا عن المنكرِ ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

(المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١)، ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ (إبراهيم/٢٨ ـ ٢٩) ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم/٧)، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ.

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ:

إنَّ نِعمَ اللهِ سبحانه وتعالى كثيرةٌ، لا تُعدُّ ولا تُحصى، ولا تُحدُّ ولا تُستقصى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ (لقمان/٢٠) ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء/٧٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ ﴾ (الإنفطار/٦ ـ ٨) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين/٤) ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾

(النحل/٥٣) ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ (إبراهيم/٣٤) ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل/١٨) .

فانظروا ـ رحمَكم اللهُ ـ موقفَكم مع نِعمِ اللهِ ، وتأمّلوا في أحوالِ من قبلَكم ، وفي أحوالِ مَن حولَكم ممّن تنكّروا لنِعمِ اللهِ ، وكفروا بها ، ولم يؤدُّوا شكرَها ، كيف دهمَهم أمرُ اللهِ ؟ فبُدِّلوا بالنعمةِ نقمةً ، وبالأمانِ والاطمئنانِ خوفاً وقلقاً ، وبالشبعِ والغنى جوعاً وفقراً ، فاحذروا أن يصيبَكم مثلُ ما أصابَهم ، فقد أنعمَ اللهُ عليكم بنعَمٍ كثيرةٍ لم تكن موجودةً معهم ؛ من سعَةٍ في الأرزاقِ ، ورفاهيّةٍ في الملابسِ والمساكنِ والمراكبِ ، وصحّةٍ في الأبدانِ ، وأمنٍ في البلدانِ ، إلى غيرِ ذلك من وسائلِ الراحةِ ، وأعلى من ذلك وأغلى أن اختارَ لكم الإسلامَ ديناً ، وأقامَكم على المحجّةِ البيضاءِ ، والملّةِ السمحاءِ ، فاشكروا اللهَ ولا تكفروه ، وأطيعوه ولا تعصوه ، واذكروه ولا تنسوه ، وانتبهوا من رقدةِ الغفَلاتِ قبل الوقوعِ في الهلَكاتِ ، وبادروا إلى الأوبةِ قبلَ انغلاقِ بابِ التوبةِ ، فكلُّ ابنِ آدم خطّاءٌ وخيرُ الخطّائين التوّابون ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فيا شباب الإســـلام

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ الذي بنعمته تتمُّ الصالحاتُ ، وبالعملِ بطاعته تطيبُ الحياةُ وتنزلُ البركاتُ ، سبحانه أمرَ بالتحلّي بالفضائلِ ، ونهى عن الوقوعِ في مهاوي النقائصِ والرذائلِ ، نحمَدُهُ ونستعِينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليهِ ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِهِ ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قد أغنى المسلمين ، وأنعمَ عليهم بشريعةٍ كاملةٍ صالحةٍ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ ، هذه الشريعةُ هي الصراطُ المستقيمُ ، الذي هو طريقُ الذين أنعَمَ اللهُ عليهم من النبيّين والصدِّيقين والشهداءِ والصالحين ، وما خالفَها فهو طريقُ المغضوبِ عليهم والضالين من اليهودِ والنصارى والمشركين ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ (الفاتحة/٦ ـ ٧) ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٣) . لقد أنعمَ اللهُ سبحانه وتعالى علينا بشريعةٍ كاملةٍ شاملةٍ لكلِّ مصالحِ الدِّينِ والدنيا ، وعلّقَ السعادةَ في الدنيا والآخرةِ على العملِ بها والتمسّكِ بهديها ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل/٩٧) ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴾ (مريم/٧٦) ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ (محمد/١٧) ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (البقرة/٣٨) ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ (طه/١٢٣) .

أيُّها المسلمون :

إنَّ من القبيحِ بل من الحرامِ أن نتركَ محاسنَ ديننا الحنيفِ ، ونقلّدَ أعداءَنا فيما ينهى عنه الدِّينُ ، ويُغضبُ علينا ربَّ العالمين ، إنَّ عاقبةَ تقليدِنا الأجانبَ في بدعِهم السيئةِ وعاداتِهم القبيحةِ عاقبةٌ وخيمةٌ ، إنَّ التشبّهَ بالكفارِ تنكّرٌ للإسلامِ ، واستبدالٌ لتعاليمِه بغيرِها ، فمَن تشبّهَ بقومٍ فهو منهم ، ليس منَّا من

تشبّهَ بغيرِنا ، إنَّ التشبّهَ بالكفارِ في الظاهرِ دليلٌ على موالاتِهم في الباطنِ ، وهذا ينافي الإيمانَ ، ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة/٢٢) .

فيا شبابَ المسلمين تمسّكوا بتعاليمِ دينِكم الحنيفِ ، عضّوا عليها بالنواجذِ ، وإيّاكم ومحدثاتِ الأمورِ ، ويا شبابَ المسلمين لا يجرفنَّكم سيلُ المدنيّةِ الحديثةِ الخبيثةِ ، ولا يصرفنَّكم الشيطانُ عن صفاتِ الرجولةِ والشهامةِ والشجاعةِ ، ولا يحملنَّكم الترفُ على التفنّنِ في محاكاةِ النساءِ ؛ فإنَّ الرجلَ خشنٌ بطبعِه ، وكلّما تأنّث خفّت ذكورتُه ، ونقصت رجولتُه ، وعجزَ عن الكفاحِ والقيامِ الذي خُلِقَ له في مُعتركِ هذه الحياةِ ، فتمسّكوا بكتابِ ربِّكم ، وتأسّوا بنبيِّكم محمدٍ ﷺ ، وتذكّروا أولئك الشبابَ الأبطالَ الذين ربّاهم رسولُ اللهِ ﷺ الذين كانوا رهباناً بالليلِ أسوداً بالنهارِ الذين لم يكن همُّهم كأساً ولا غانيةً ، لم يكن همُّهم جمعَ الحطامِ ولا مغازلةَ الحِسانِ ، ولا السعيَ وراءَ الشهواتِ ، ولا الخوضَ في الشُّبُهاتِ ، ولا التسكّعَ في الطُّرُقاتِ ، ولا التفنّنَ في محاكاةِ الفتياتِ ، وإنّما كانَ جُلُّ همِّهم إقامَ الصلاةِ ، وإيتاءَ الزكاةِ ، والأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ ، والجهادَ في سبيلِ اللهِ ، تذكّروا أولئك الذين فتحوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها بالسواعدِ المؤمنةِ ، والعزائمِ المتوقدةِ ، والهممِ العاليةِ الذين يبيتون لربِّهم سجّداً وقياماً ، يرتّلون كتابَ اللهِ ترتيلاً ، إذا

مرَّ أحدُهم بآيةٍ فيها ذكرُ الجنّةِ بكى شوقاً إليها ، وإذا مرَّ بآيةٍ فيها ذكرُ النارِ شهقَ شهقةً كأنَّ زفيرَ جهنّمَ في أذنيه ، الذين وصفَهم اللهُ بقولِه : ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور/٣٧ــ ٣٨) ، الذين وصفَهم اللهُ بقولِه : ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب/٢٣) ، الذين وصفَهم اللهُ بقولِه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الفتح/٢٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ

تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ * وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ ﴾ (آل عمران/١٠٢ـ١٠٩) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنّه لا يُصلِحُ آخرَ هذه الأمّةِ إلا ما أصلحَ أوّلَها ، فكونوا خيرَ خلَفٍ لخيرِ سلَفٍ في الذبِّ عن الدينِ ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ ، والحفاظِ على المحارمِ ، والدفاعِ عن الديارِ، فلستم كشبابِ الكفّارِ الضائعِ الذي لا دينَ له يحميه ، ولا عرضَ له يصونُه ، ولا كرامةَ له يُحافظُ عليها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب/٢١) ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (الحشر/٧) ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور/٦٣) ﴿ فَإِن

لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص/٥٠) ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا﴾ (النساء/١١٥) .

فاتقوا الله يا عبادَ الله ، وتآمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المنكرِ ، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاتحـــــاد

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي ألفَ بالإسلامِ بينَ عبادِه المؤمنينَ ، وجعلَهمْ إخوةً متحابّينَ متآلفينَ على الخيرِ متعاونينَ ، ﴿ **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (الأنفال/٦٣) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْدِيه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليهِ ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِه الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُه ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّه حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِه وصحْبِه ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِه ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِه إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ.

واعلموا أن أقْوَى عامِلٍ لِرَفْعِ مَنَارِ الأُمَمِ ، وأفْضلَ مُعِينٍ لِنُهُوضِهَا ونَيْلِهَا مُنْتَهَى المَجْدِ والشَّرَفِ ؛ هُوَ الاتِّحَادُ وَجَمْعُ الشَّمْلِ ، فالاتِحَادُ وارتباطُ القُلُوبِ بعضِها ببعضٍ ، وتظافرُها على أمرٍ واحدٍ، واجتماعُها على كلمةٍ واحدةٍ ؛ من أهمِّ أسبابِ السعادةِ ، وأقوى دَوَاعي المودّةِ والمحبةِ ، فكمْ بهِ عُمِرَتْ بِلادٌ ، وسادتْ عِبادٌ، وانتشرَ عِمْرانٌ ، وتقدمتْ أوطانٌ ، وأُسِّسَتْ مَمَالِك ، وسُهِّلتْ مَسَالك ، وقَوِيتْ شَوكَةٌ ، وكَثُرَ تَضَامُنٌ ، إلى غيرِ ذلكَ مِنْ فوائدِ الاتحادِ ، فمنْ تمسّكَ بهِ فقد استَمسكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى ، وفازَ بالسببِ الأقوى ، وما تمسّكتْ بهِ أمّةٌ منَ الأممِ إلا ظهرَ سُلطانُها ، وقَوِيتْ شوكتُها ، ودامتْ دَولتُها ، وبلغتْ في الرُّقِيِّ ورَغَدِ العَيْشِ أقْصَى الغَاياتِ وأرْفَعَ الدّرَجاتِ ، وما تخالَفَت أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ ، وَاختَلّتْ كلِمَتُها ، وتنازعت في أمرِها إلا اضمحلّ سلطانُها ، وضعُفت شوكتُها ، وتلاشت دولتُها ، وتبدّلَ عزُّها ذلّاً ، ورفعتُها ضعةً وانحطاطاً ، وكان من نصيبِها الفشلُ والخسرانُ المبينُ ؛ فإنَّ التخالفَ والتنازعَ في الكلمةِ والرأي هو سببُ الضعفِ والخذلانِ ، والفشلِ في جميعِ الأزمانِ ، بل هو مجلبةُ الفسادِ ، ومطيّةُ الكسادِ ، وداعيةُ الخرابِ والدمارِ، وداهيةُ العارِ والشنارِ ، فكم من عائلاتٍ كثيرةٍ كانت في رغَدٍ من العيشِ ، وبيوتٍ كبيرةٍ كانت آهلةً بأهلِها ؛ حتى إذا دبّت فيهم عقاربُ الخلافِ ، وسرى سمُّها في قلوبِهم ، وأخذَ الشيطانُ منهم مأخذَه تفرّقوا شذَرَ مذَرَ، فأصبحت بيوتُهم خاويةً على عروشِها .

فهنيئا لأمّةٍ اتحدت ، وعلى الخيراتِ اجتمعت ، والويلُ والدمارُ لأمّةٍ دبّت فيهم عقاربُ الخلافِ ، وتسرّبَ فيهم ريحُ الشقاقِ ؛ حتى قضى عليهم

بالتشتّت والفراق.﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ (الأنعام/١٥٩) ﴿ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦) ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الحجرات/١٠) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات/١١ـ١٢) عن أبي موسى الأشعري قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ، يشدُّ بعضَه بعضاً»، وعن النعمانِ بنِ بشيرٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمِهم وتعاطفِهم كمثَلِ الجسدِ الواحدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الأعضاءِ بالسهرِ والحمّى» ، وعن ابنِ مسعـــودٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إيّاكم والحسدَ والظنَّ والبغيَ ؛ فإنَّه لا حظَّ في الإسلامِ لمن فعل ذلك ، ولا حظَّ في الإسلامِ لمن فيه إحدى هذه الخصالِ » ، وعن أبي هريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إيّاكم والظنَّ ؛ فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديثِ ، ولا تجسّسوا ولا تحسّسوا ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً »، وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عبادَ اللهِ إخوانا، ولا يحلُّ لمسلمٍ أن

يهجرَ أخاه فوق ثلاث»، وعن أبي أيوب قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يحلُّ لمسلمٍ أن يهجرَ أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ يلتقيان ، فيعرضُ هذا، ويعرضُ هذا، وخيرُهما الذي يبدأُ بالسلامِ » .

هذه هي تعاليمُ الإسلامِ، هذه هي الأخلاقُ الإسلاميةُ التي ربّى عليها الإسلامُ أبناءَه، يحملُ قويُّهم ضعيفَهم، ويُعينُ غنيُّهم فقيرَهم، ويرحمُ كبيرَهم صغيرَهم، ويوقّرُ صغيرُهم كبيرَهم، لا بغضاءَ ولا شحناءَ ، ولا تضاغنَ ولا أحقادَ ، فهم أسرةٌ واحدةٌ مهما اختلفتْ أجناسُهم ، وتفرّقت أنسابُهم ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات/ ١٣).فاتقوا الله يا عباد الله ، وتآمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال/٤٦) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بدعةٌ ، وكُلُّ بدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

لقدْ أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى عبادَه المؤمنين بالوحدةِ ، ونهاهم عن الفرقةِ ، وذكّرَهم نعمتَه عليهم ببعثةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ الذي رأبَ صدعَهم ، وجمعَ صفَّهم ، ووحَّدَ كلمتَهم بعد أن كانوا متشتّتين متفرّقين ، وذكّرَهم الحالةَ التي كانوا عليها قبل بعثته ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ من العداوةِ والبغضاءِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران/١٠٢ـــ١٠٦) ، وقد بيّنَ اللهُ سبحانه وتعالى أنَّ هذه الأمّةَ أمّةٌ واحدةٌ، تلتقي في ظلِّ عبادةِ اللهِ عزَّ وجلَّ، وفي ظلِّ تقواه، ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/٩٢) ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون/٥٢).

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وكونوا في التآلفِ والتآزرِ ، والتوادِ والتعاونِ ؛ كالبنيانِ الذي يشدُّ بعضُه بعضاً، وكالجسدِ الواحدِ الذي إذا اشتكى منه عضوٌ

تداعى له سائرُ الأعضاءِ تفوزوا فوزاً عظيماً، وتخلّدوا لأنفسكم تأريخاً جليلاً ، يُتلى على صفحاتِ الدهر بكرةً وأصيلاً ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بسم الله الرحمن الرحيم

من غُـررِ الأيامِ وأبرزِها

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، الحمدُ للهِ الذي بنعْمتِه تتمُّ الصَّالحاتُ ، وبالعَمَلِ بطاعتِه تَطِيبُ الحياةُ ، وتَنْزِلُ البركاتُ ، سبحانه رفعَ منارَ الدِّينِ ، وجمعَ شملَ المسلمين بهجرةِ خاتمِ النبيّين والمرسلين ، عليه أفضلُ الصلاةِ وأزكى التسليمِ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِه ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِه اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بِيدِه الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّه حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِه وصحْبِه ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بهدْيِه ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِه إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصِيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيه رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من غُررِ الأيامِ وأبرزِها في تاريخِ النضالِ بين المؤمنين والكافرين يومَ الهجرةِ النبويّةِ ، اليوم الذي نصرَ اللهُ سبحانه وتعالى فيه نبيَّه محمداً ﷺ ، ونجّاه من كيدِ الكافرين ، ومكرِ الماكرين بعد أن تآمروا بالقضاءِ عليه وعلى دعوتِه ؛ إمّا بحبسِه أو قتلِه أو نفيه ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال/٣٠) ، واتفقَ رأيُهم على أن يختاروا من كلِّ قبيلةٍ فتى شابّاً جلْداً ، ويعطونه سيفاً صارماً ، فإذا خرجَ رسولُ اللهِ ﷺ من دارِه ضربوه ضربةَ رجلٍ واحدٍ ، فيتفرّق دمُه بين القبائلِ ، فلا يستطيعُ بنو عبدِ مناف محاربةَ جميعِ قبائلِ قريش ، بل يرضون بالديةِ ، ولكنَّ اللهَ من ورائهم محيطٌ، ففي الليلةِ التي تجمّعَ فيها شياطينُ الضلالِ أمامَ دارِه ـــ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـــ ليقتلوه تنفيذاً لمؤامرتِهم ؛ نزلَ الوحيُ على النبيِّ ﷺ ، فأخبرَه بذلك ، فخرجَ ﷺ من دارِه بين صفّين من شبابٍ فتيٍّ ، يحملون سيوفاً ساطعةً ، ورماحاً مشرعةً ، وهو يتلو قولَ اللهِ تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ (يس/٩) ، فنجّاه اللهُ من شرِّهم ، وعصمَه من كيدِهم ، وأرسلَ الفجرُ ضياءَه ، فإذا هدفُهم قد أُفلِت من أيديهم ، فهاجَ هائجُهم ، وطاشت ألبابُهم ، وانطلقوا كالمجانين ، يجوبون الصحراءَ ، ويستنطقون الرمالَ ومساربَ الجبالِ ، وعند الغارِ تنتهي آثارُ المسيرِ ، فأحدقوا به من كلِّ ناحية، وأبو بكرٍ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ يسمعُ وقْعَ أقدامِهم ، فيحزنُ حزناً شديداً ، موقفٌ عصيبٌ ينخلعُ له قلبُ الشجاعِ ، ولكنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يبقى ثابتَ الجنانِ ، قويَّ الإيمانِ ، يقولُ لصاحبِه : « يا أبا بكرٍ، ما ظنُّك باثنين اللهُ ثالثُهما ، لا

تحزنْ إنَّ اللهَ معنا»، فأعمى اللهُ أبصارَ القومِ ، فلم يلتفت إليهم أحدٌ ﴿ إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/٤٠) .

وبعد مضيِّ ثلاثِ ليالٍ خرجا من الغارِ، واتجها إلى المدينةِ المنورةِ ، فاستقرَّ رسولُ اللهِ ﷺ وأصحابُه المهاجرون بها ، فكانت الهجرةُ حدّاً فاصلاً بين الإيمانِ والكفرِ ، بين الحقِّ والباطلِ ، وكانت الهجرةُ تمهيداً لتثبيتِ البناءِ الإسلاميِّ ، وإرساءِ قواعدِه ، ومدِّ شعاعِه إلى العالَمِ ، فبالهجرةِ أصبحَ للإسلامِ مركزٌ يأوي إليه ، وحصنٌ حصينٌ يحتمي به ، فما أحوجَ المسلمين اليومَ إلى الإخلاصِ في الدعوةِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، والجدِّ في العملِ ، والصدقِ في القولِ ، والصبرِ على المكارهِ والشدائدِ ، وأن يتفهّموا حادثَ الهجرةِ ، ويأخذوا منه الدروسَ والعبرَ ، وأنَّ المبادئَ متى استقرّت ، وآمنت بها القلوبُ ، وامتلأت بها النفوسُ ؛ تكونُ عند أصحابِها أعزَّ من نفوسِهم وأموالِهم وكلِّ ما يملكونه في هذه الحياةِ ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (المجادلة/٢٢) ﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ

الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر/٨ـ٩) .

نفعني الله وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ لله ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، وتذكّروا تلك المواقفَ التي وقفَها رسولُ اللهِ ﷺ بين ضجيجِ الجاهليةِ وتحدياتِ الشركِ ، داعياً إلى توحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ وعبادتِه وحده ، وتزوّدوا من تلك المواقفِ زادَ القوّةِ واليقينِ لتقوموا بواجبِ الدعوةِ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ، فإنَّ الدعوة إلى اللهِ عزَّ وجلَّ هي سبيلُ كلِّ مؤمنٍ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف/١٠٨) ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (آل عمران/١٠٤ ـ ١٠٥) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ ﴾ (آل عمران/١١٠) ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة/٧١) ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (الحج/٤١) بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (العصر/١ ـ ٣) ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة ق

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ المبدئِ المعيدِ ، ذي الأمرِ الرشيدِ والبأسِ الشديد ، الذي يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ ، سبحانه يقولُ في كتابِه العزيزِ : ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق/٤٥) ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِه وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمِينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِهِ ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ أحسنَ الحديثِ والذكرى وأنفعَ المواعظِ لأولي النهى كلامُ ربِّ الآخرةِ والأولى ، ﴿وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الأعراف/) أعوذُ باللهِ من الشيطانِ الرجيمِ ، بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ ﴿ ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءهُمْ مُنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ * أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ * قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ * بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَّرِيجٍ * أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ * رِزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ * كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ * وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ * أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ * إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ * مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ * وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ * لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ * وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ

اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ * قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ *مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ * يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ * وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ وَجَاء بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ * لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ * وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ * فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ * وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ * إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ * يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ (ق/١ ــ ٤٥) .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِه الكريمِ ، ورزقَنا تلاوتَه آناءَ الليلِ والنهارِ ، وأعانَنا على العملِ به ، وجعلَنا من أوليائه الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون ، في ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (الشعراء/٨٨ ــ ٨٩) .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واحذروا الغفلةَ عنِ اللهِ تعالى والدارِ الآخرةِ ، والاغترارَ بالدنيا وشهواتِها ، فهي لا محالةَ زائلةٌ ، فعمّا قليلٍ تُنقلون من دورِكم وأموالِكم إلى حفرٍ ضيّقة ، هي إمّا روضةٌ من رياضِ الجنّةِ أو حفرةٌ من حفرِ النارِ ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ* إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (لقمان/٣٣ ـ ٣٤) ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (فاطر/٥ـ٧) فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى

كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١) .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة مأثورة (١)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ ، أحمدُه وأستعينُه ، وأستغفرُه وأستهديه ، وأؤمنُ به ولا أكفرُه ، وأعادي من يكفرُه ، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ ، وحده لا شريكَ له ، من يُطعِ اللهَ ورسولَه فقد رشدَ ، ومن يعصِ اللهَ ورسولَه فقد غوى وفرّطَ وضلَّ ضلالاً بعيداً ، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ، أرسلَه بالهدى والنورِ والموعظةِ على فترةٍ من الرُّسلِ ، وقلّةٍ من العلمِ ، وضلالةٍ من الناسِ ، وانقطاعٍ من الزمانِ ، ودنوٍّ من الساعةِ ، وقربٍ من الأجلِ ، ﷺ ، وعلى آله وصحبِه أجمعين :

عبادَ اللهِ :

أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ ؛ فإنَّ خيرَ ما يوصي به المسلمُ المسلمَ أن يحضَّه على الآخرةِ ، وأن يأمرَه بتقوى اللهِ ، فاحذروا ما حذّرَكم اللهُ من نفسِه ، ولا أفضلَ من ذلك ذكرٌ ، وإنَّ تقوى اللهِ لمن عمِل به على وجَلٍ ومخافةٍ من ربِّه عونُ صدقٍ على ما تبغون من أمرِ الآخرةِ ، ومن يُصلحِ الذي بينه وبين اللهِ من أمرِه في السرِّ والعلانيةِ ، لا ينوي بذلك إلا وجهَ اللهِ ؛ يكنْ له ذكراً في عاجلِ أمرِه ، وذخراً لما بعد الموتِ ؛ حين يفتقرُ المرءُ إلى ما قدّمَ ، وما كان سوى ذلك يودُّ لو أنَّ بينه وبينه أمداً بعيداً ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ

بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران/٣٠) ، والذي صدَقَ قولَه وأنجزَ وعدَه لا خلفَ لذلك ، فإنّه يقولُ : ﴿ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (ق/٢٩) .

فاتقوا اللهَ في عاجلِ أمرِكم وآجلِه ، في السرِّ والعلانيةِ ؛ فإنَّه من يتقِ اللهَ يكفِّرْ عنه سيئاتِه ، ويُعظمْ له أجراً ، ومن يتقِ اللهِ فقد فازَ فوزاً عظيماً ، وإنَّ تقوى اللهِ يوقي مقتَه وعقوبتَه وسخَطَه ، ويبيّضُ الوجوهَ ، ويُرضي الربَّ ، ويرفعُ الدرجةَ ، فخذوا بحظِّكم ، ولا تفرِّطوا في جنبِ اللهِ ، وقد علَّمَكم كتابَه ، ونهجَ لكم سبيلَه ؛ ليعلمَ الذين صدقوا ، وليعلمَ الكاذبين ، وأحسنوا كما أحسنَ اللهُ إليكم ، وعادوا أعداءَه ، وجاهدوا في اللهِ حقَّ جهادِه ، هو اجتباكم وسمّاكم المسلمين ؛ ليهلكَ من هلكَ عن بيّنةٍ ، ويحيى من حيٍّ عن بيّنةٍ ، وأكثروا من ذكرِ اللهِ ، واعلموا أنّه خيرٌ من الدنيا وما فيها ، واعملوا لما بعد الموتِ ، فإنّه من يُصلِحْ ما بينه وبين اللهِ يكفِه اللهُ ما بينه وبين الناسِ ، ذلك بأنَّ اللهَ يقضي بالحقِّ على الناسِ ولا يقضون عليه ، ويملكُ منهم ولا يملكون عليه ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ ، وصلى اللهُ على سيّدِنا محمدٍ ، وعلى آلِه وصحبِه وسلَّمَ .

نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعِينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ إنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْيِ هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واشكروه على نِعَمِه التي أسبغَها عليكم ، واذكروه ذكراً كثيراً ، وسبِّحوه بكرةً وأصيلاً ، وكبِّروا اللهَ على ما هداكم ؛ خاصّةً في هذه الأيامِ وبعد الصلواتِ الخمسِ إلى صلاةِ العصرِ من اليومِ الثالث عشر ﴿وَاذْكُرُواْ اللّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾(البقرة/٢٠٣) .

أيامُ التشريقِ أيامُ أكلٍ وشربٍ وذكرِ اللهِ ، ما عملَ ابنُ آدم عملاً أنجى له من عذابِ اللهِ من ذكرِ اللهِ ، ذاكرُ اللهِ في الغافلين كالمقاتِلِ بين الفارّين ، وذاكرُ اللهِ في الغافلين كالشجرةِ الخضراءِ في وسطِ الهشيمِ ، ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة/٢) ﴿وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال/١) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة مأثورة (٢)

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ على أنوارِه الزاهرةِ ، وأدلتِه الظاهرةِ ، وبراهينِه القاهرةِ ، وعلى ما أولى به وأنعمَ ، وهدى إليه وفهّمَ من النورِ الواضحِ الأبهجِ ، والطريقِ اللائقِ الأبلجِ ، وصلّى اللهُ على من ختمَ به الرسلَ ، وأوضحَ به السُّبلَ ، محمدٍ المصطفى ، وأمينِه المجتبى ، وعلى آلِه وصحبِه وكفى ، أمّا بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ تعالى ، وأوثقَ العرى كلمةُ التقوى ، وخيرَ المللِ ملّةُ إبراهيمَ ، وخيرَ السُّننِ سنةُ محمدٍ ﷺ ، وأشرفَ الحديثِ ذكرُ اللهِ ، وأحسنَ القَصصِ هذا القرآنُ ، وخيرَ الأمورِ عوازمَها ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وأحسنَ الهدي هديُ الأنبياءِ ، وأشرفَ الموتِ قتلُ الشهداءِ ، وأعمى العمى الضلالةُ بعد الهدى ، وخيرَ العلمِ ما نفعَ ، وخيرَ الهدي ما اتُّبعَ ، وشرَّ العمى عمى القلب ، واليدَ العليا خيرٌ من اليدِ السُّفلى ، وما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثُرَ وألهى ، وشرَّ المعذرةِ حين يحضرُ الموتُ ، وشرَّ الندامةِ يوم القيامةِ ، ومن الناسِ مَن لا يأتي الصلاةَ إلا دُبُراً ، ومنهم مَن لا يذكرُ اللهَ إلا هُجْراً ، وأعظمَ الخطايا اللسانُ الكذوبُ ، وخيرَ الغنى غنى النفسِ ، وخيرَ الزادِ التقوى ، ورأسَ الحكمةِ مخافةُ اللهِ ، وخيرَ ما وقر في القلوبِ اليقينُ والارتيابُ من الكفرِ ، والنياحةَ من عملِ الجاهليةِ ، والغُلولَ من جُثى جهنّمَ ، والكترَ كيٌّ من النارِ ،

والشِّعرَ من مزاميرِ إبليسَ ، والخمرَ جِماعُ الإثم ، والنساءَ حُبالةُ الشيطانِ ، والشبابَ شعبةٌ من الجنونِ ، وشرَّ المكاسبِ كسبُ الرِّبا ، وشرَّ المآكلِ مالُ اليتيمِ ، والسعيدَ من وُعِظَ بغيرِه ، والشقيَّ من شَقي في بطنِ أمِّه ، وإنما يصيرُ أحدُكم إلى موضعِ أربعِ أذرعٍ ، والأمرُ بآخرِه ، ومِلاكُ العملِ خواتمُه ، وشرُّ الرَّوايا روايا الكذبِ ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ ، وسِبابُ المؤمنِ فسوقٌ ، وقتالُ المؤمنِ كفرٌ ، وأكلُ لحمِه من معصيةِ اللهِ ، وحرمةُ مالِه كحرمةِ دمِه ، ومن يتألَّ على اللهِ يُكْذِبْه ، ومن يغفرْ يغفرِ اللهُ له ، ومن يعفُ يعفُ اللهُ عنه ، ومن يكظُمِ الغيظَ يأجرْه اللهُ ، ومن يصبرْ على الرزيّةِ يعوّضْه اللهُ ، ومن يتبعِ السمعةَ يُسمِعِ اللهُ به ، ومن يصبرْ يضعّفِ اللهُ له ، ومن يعصِ اللهَ يعذّبْه اللهُ ، اللهمَّ اغفرْ لي ولأمّةِ محمدٍ ، اللهمَّ اغفرْ لي ولأمّةِ محمدٍ ، اللهمَّ اغفرْ لي ولأمّةِ محمدٍ ، أستغفرُ اللهَ لي ولكم .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ :

اتقوا اللهَ تعالى ، واعلموا أنَّ العبدَ المؤمنَ بين مخافتين : بين أجَلٍ قد مضى ، لا يدري ما اللهُ صانعٌ به ، وبين أجَلٍ قد بقيَ ، لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه ، فليأخذِ العبدُ من نفسِه لنفسِه ، ومن حياتِه لموتِه ، ومن شبابِه لكِبَرِه ، ومن

دنياه لآخرته ؛ فإنَّ الدنيا خُلِقت لكم ، وأنتم خُلقتم للآخرةِ ، فليسَ بعد الموتِ من مُستعتَبٍ ، ولا بعد الدنيا دارٌ إلا الجنةَ أو النارَ ، فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، اتقوا اللهَ ربَّكم وراقبوه في السرِّ والعلانيةِ، في المكرهِ والمنشَطِ ، في العُسْرِ واليُسْرِ ، في الشدّةِ والرخاءِ ، في الغضبِ والرِّضا ، في الفقرِ والغنى ، واحذروا الغفلةَ عن اللهِ تعالى والدارِ الآخرةِ ، والاغترارَ بالدنيا وشهواتِها ، فهي لا محالةَ زائلةٌ، فعمّا قليلٍ تُنقلون من دورِكم وأموالِكم إلى حفرٍ ضيّقةٍ ، هي إمّا روضةٌ من رياضِ الجنّةِ أو حفرةٌ من حفرِ النارِ ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى﴾ (طه/٧٤ـ٧٦) ، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المزمل/٢٠) ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (النور/٣١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدعاء

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين ، الحمدُ للهِ ذي الفضلِ والتكريمِ والإحسانِ العميمِ ، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ ، وشملت رأفتُه كلَّ حيٍّ ، فدعا إلى طاعته الداني والقاصي ، وعمَّ إحسانُه الطائعَ والعاصيَ ، سبحانه أمرَ عبادَه بالدعاءِ والابتهالِ ، وأنعم عليهم بأنواعِ النِّعمِ والنوالِ ، نحمَدُهُ ونستعينُهُ ونستَهْديه ، ونؤمِنُ بِهِ ونتوكّلُ عليه ، ونستَغفِرُهُ ونتُوبُ إليه ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا ومِنْ سيّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لهُ ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هاديَ لهُ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ، وحْدَهُ لا شريكَ لهُ ، لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ ، يُحيِي ويُميتُ وَهُوَ حيٌّ لا يَموتُ ، بيدِهِ الخيرُ وَهُوَ على كُلِّ شيءٍ قديرٌ ، وأشْهدُ أنَّ سيّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُهُ ورسولُهُ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، أرسلَهُ رحمةً للعالَمينَ ، وسراجاً للمُهتدِينَ ، وإماماً للمُتقينَ ، فبلّغَ الرِّسالةَ ، وأدّى الأمانةَ ، ونصَحَ الأُمَّةَ ، وكشَفَ الغُمَّةَ ، وجاهدَ في سَبيلِ ربِّهِ حتى أتاهُ اليقينُ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ ، وعلى كُلِّ مَنِ اهْتدى بِهدْيِهِ ، وسارَ على نهجِه ، واستنَّ بسُنَّتِه ، ودعا بدعْوتِهِ إلى يومِ الدِّينِ ، أمّا بعدُ :

فيَا عِبادَ اللهِ أُوصيكم ونفْسِي بتقوى اللهِ ، والعملِ بما فيهِ رِضاهُ ، فاتقوا اللهَ وراقبوهُ ، وامتثِلُوا أوامِرَهُ ولا تعصُوهُ ، واذكُرُوهُ ولا تنسَوهُ ، واشكُرُوهُ ولا تكفُرُوهُ .

واعلموا أنَّ من العباداتِ التي يُتقرّبُ بها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، ومِن القُرُباتِ التي ينالُ بها المؤمنُ أعظمَ الدرجاتِ عند اللهِ سبحانه وتعالى ؛ هو الدعاءُ ، والدعاءُ : هو الطلبُ من اللهِ عزَّ وجلَّ ، والابتهالُ إليه في تحصيلِ ما طُلِبَ ، وهو من أشرفِ العباداتِ ، وقد بيّنَ رسولُ اللهِ ﷺ أنَّ الدعاءَ هو العبادةُ ، بل هو مخُّ العبادةِ ، فعن النعمانِ بنِ بشيرٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « الدعاءُ هو العبادةُ » ، ثمَّ تلا قولَ اللهِ تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ (غافر/٦٠) ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « الدعاءُ مخُّ العبادةِ » ، وقد أمرَ اللهُ سبحانه وتعالى عبادَه أن يدعوه فضلاً وكرماً ، ووعدَهم بالإجابةِ ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ **ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ (غافر/٦٠) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَآئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** ﴾ (الأعراف/١٨٠) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ (البقرة/١٨٦) ، وفي الحديثِ القدسيِّ : « يا عبادي :كلُّكم ضالٌّ إلا من هديتُه ، فاستهدوني أهدِكم ، يا عبادي : كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه ، فاستطعموني أُطعمْكم ، يا عبادي :كلُّكم عارٍ إلا مَن كسوتُه ، فاستكسوني أكسُكم ، يا عبادي : إنَّكم تخطئون بالليلِ والنهارِ ، وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً ، فاستغفروني أغفرْ لكم ، يا عبادي : إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضرّوني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي : لو أنَّ أوّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زادَ ذلك في ملكي شيئاً ، يا

عبادي: لو أنَّ أوّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما نقصَ ذلك من ملكي شيئاً ، يا عبادي : لو أنَّ أوّلَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا في صعيدٍ واحدٍ ، فسألوني فأعطيتُ كلَّ واحدٍ منكم مسألتَه ما نقصَ ذلك ممّا عندي إلا كما ينقصُ المخيَّطُ إذا أُدخِل البحرَ ، يا عبادي : إنّما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ، ثم أوفّيكم إيّاها ، فمن وجدَ خيراً فليحمدِ اللهَ ، ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه » .

واللهُ سبحانه وتعالى كلَّما أثنى على طائفةٍ من المؤمنين في كتابِه العزيزِ ذكرَ من صفاتِهم التي استحقّوا بها الثناءَ تضرعَهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ وابتهالَهم إليه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ في وصفِ المتقين : ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران/١٦ ــ ١٧) ، ويقولُ سبحانه في وصفِ أولي الألبابِ : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ * رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ (آل عمران/١٩١ ــ ١٩٤) ، ويقولُ سبحانه في وصفِ عبادِ الرحمنِ ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ (الفرقان/٦٥) ، ويقولُ سبحانه في وصفِ عبادِ الرحمنِ أيضاً : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ

وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ (الفرقان/٧٤) ، إلى غيرِ ذلك ممّا جاءَ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وقد وردَ أنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يغضبُ على من لا يدعوه ولا يسألُه ، ويحبُّ من يدعوه ويسألُه ، وأنَّ الدعاءَ هو أكرمُ شيءٍ على اللهِ عزَّ وجلَّ ، وأنَّه سلاحُ المؤمنِ ، وعمادُ الدينِ ، ونورُ السماواتِ والأرضِ ، وأنَّه ينفعُ مما نزلَ ومما لم يترلْ ، وأنّه يتلقّى البلاءَ ، فيعتلِجان إلى يومِ القيامةِ ، وأنّه سببٌ لفتحِ أبوابِ الجنّةِ والإجابةِ والرحمةِ ، وقد كانَ رسولُ اللهِ ﷺ يعلّمُ أصحابَه بعضَ الأدعيةِ كما يعلّمُهم السورةَ من القرآنِ، فعن ابنِ عباسٍ ـــ رضيَ اللهُ عنهما ـــ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يعلّمُهم هذا الدعاءَ كما يعلّمُهم السورةَ من القرآنِ : « اللهمَّ إنّي أعوذُ بك من عذابِ القبرِ ، وأعوذُ بك من عذابِ جهنّمَ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المسيحِ الدجّالِ ، وأعوذُ بك من فتنةِ المحيا والممات » .

أيّها المسلمون :

إنَّ للدعاءِ آداباً ينبغي للداعي أن يتحلّى بها وهو يتوجّهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ بالدعاءِ ، فمن ذلك : أن يُفردَ اللهَ سبحانه وتعالى في دعائه ، ولا يُشركَ معه غيرَه ، يقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (يونس/١٠٦) ، ويقولُ سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَومِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾ (الأحقاف/٥) ، ويقولُ عزَّ من قائلٍ : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ

﴿ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ (الزمر/٣٨) ، ومن وصيّةِ رسولِ اللهِ ﷺ لابنِ عبّاسٍ : « إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ ، واعلمْ أنَّ الأمّةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوك بشيءٍ لن ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيءٍ لن يضرّوك إلا بشيءٍ قد كتبَه اللهُ عليك ، رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحفُ » ، ومن آدابِ الدعاءِ : أن يكونَ الداعي مجتنباً للحرامِ في مأكلِه ومشربِه وملبسِه ؛ لأنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً ، ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة/٢٧) ، عن أبي هريرةَ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ عن النبيِّ ﷺ قالَ : «إنَّ اللهَ تعالى طيّبٌ لا يقبلُ إلا طيّباً، وإنَّ اللهَ أمرَ المؤمنين بما أمرَ به المرسلين ، فقالَ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ (المؤمنون/٥١) ، وقالَ تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ (البقرة/١٧٢) ، ثمّ ذكرَ الرجلَ يُطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ : يا ربِّ ، يا ربِّ ، ومطعمُه حرامٌ ، وملبسُه حرامٌ ، وغُذّي بالحرامِ ، فأنّى يُستجابُ لذلك؟!» ، وروىَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : « إنَّ الرجلَ ليرفعُ اللقمةَ من الحرامِ إلى فيه لا يُستجابُ له دعوة أربعين يوماً » ، ومن آدابِ الدعاءِ : أن يكونَ الداعي مستقبلاً للقبلةِ ، كما فعلَ ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ حينما خرجَ إلى المصلّى للاستسقاءِ ، استسقى ودعا واستقبلَ القبلةَ ، ومن آدابِ الدعاءِ : أن يكونَ الداعي حاضرَ القلبِ ، فقد وردَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ : «ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابةِ ، واعلموا أنَّ اللهَ لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ» ، ومن آدابِ الدعاءِ : الثناءُ على اللهِ قبلَه ، والصلاةُ والسلامُ على النبيِّ ﷺ في

أوّله وفي آخره ، ومن آداب الدعاء : ألا يستعجلَ الداعي ثمرةَ دعائه ؛ كأن يقولَ : دعوتُ فلم يُستجبْ لي ؛ لأنَّ الدعاءَ عبادةٌ حصلت الإجابةُ أو لم تحصُلْ ، ولا ينبغي للمؤمنِ أن يملَّ من العبادة ، وتأخيرُ الإجابةِ إمّا لأنّه لم يأتِ وقتُها ، وإمّا لأنّه لم يُقدَّرْ في الأزلِ قَبولُ دعائه في الدنيا ليُعطى عوضَه في الآخرةِ ، وإمّا أن يتأخرَ القَبولُ ليُلِحَّ ويكثرَ في ذلك ؛ لأنَّ اللهَ سبحانه وتعالى يحبُّ الملحّين في الدعاءِ مع ما في ذلك من الانقيادِ والاستسلامِ وإظهارِ الافتقارِ للهِ عزَّ وجلَّ ، ومن يُكثِرْ قرعَ البابِ يوشكْ أن يُفتَحَ له ، ومَن يُكثِرِ الدعاءَ يوشكْ أن يُستجابَ له ، عن أبي هريرةَ ـــ رضيَ اللهُ عنه ـــ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «يُستجابُ لأحدِكم ما لم يعجَلْ ، فيقول : دعوتُ فلم يُستجبْ لي» ، وعن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : « ما من مسلمٍ ينصبُ وجهَه للهِ في مسألةٍ إلا أعطاه إيّاها ، إمَّا أن يعجّلَها لها ، وإمَّا أن يدّخرَها له » ، وعن أبي سعيدٍ الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال : « ما من مسلمٍ يدعو اللهَ بدعوةٍ ليس فيها إثمٌ ولا قطيعةُ رحمٍ إلا أعطاه اللهُ بها إحدى ثلاثٍ : إمَّا أن يُعجِّلَ له دعوتَه ، وإمَّا أن يدخرَها له في الآخرةِ ، وإمَّا أن يصرفَ عنه من السوءِ مثلَها » .

فاتقوا اللهَ يا عبادَ اللهِ ، وادعوه وأنتم موقنون بالإجابةِ ، وتأدَّبوا بآدابِ الدعاءِ ﴿ ادْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف/٥٥ ـ ٥٦) ﴿ قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَم يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي

الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ (الإسراء/١١٠ ـ ١١١) ، نفعني اللهُ وإياكمْ بِهدْي كتابِهِ .

* * *

الحمدُ للهِ ربِّ العَالَمينَ ، وأشْهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وليُّ الصَّالحينَ ، وأشْهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمّدًا عبدُهُ ورسولُهُ ، خاتَمُ النبيّينَ والمُرسلينَ ، وسيّدُ الأوّلينَ والآخرينَ ، وقائدُ الغُرِّ المُحجّلينَ ، وأفضلُ خلْقِ اللهِ أجْمعينَ ، ﷺ ، وعلى آلِهِ وصحْبِهِ أجْمعينَ ، أمَّا بعْدُ:

فيَا عِبادَ اللهِ اتقوا اللهَ تعالى واعلموا أنَّ أصْدقَ الحديثِ كتابُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ، وخيْرَ الهدْي هَدْيُ مُحمّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمُورِ مُحدَثاتُها، وكُلُّ مُحدَثةٍ بِدعةٌ ، وكُلُّ بِدعةٍ ضَلالةٌ.

أيُّها المسلِمُونَ :

ينبغي للمسلمِ أن يُكثِرَ من الدعاءِ في كلِّ وقتٍ من أوقاتِه ، وفي كلِّ حالٍ من أحوالِه ، في الشدّةِ والرخاءِ ، في العُسرِ واليُسرِ ، وأن يتحرّى الأوقاتَ والأحوالَ والأماكنَ التي فيها مظنّةُ الإجابةِ ؛ كرمضانَ ، والعشرِ الأوائلِ من ذي الحجّةِ ، وجوفِ الليلِ الآخِرِ ، وأدبارِ الصلواتِ المكتوبةِ ، وبين الأذانِ والإقامةِ ، والساعةِ الأخيرةِ من عصرِ يومِ الجمعةِ ، وعند نزولِ المطرِ ، وعند الإفطارِ ، ودعوةِ المظلومِ ، ودعوةِ المسافرِ ، ودعوةِ الوالدِ لولدِه ، ودعوةِ الإمامِ العادلِ ، ودعوةِ الصائمِ حتى يُفطِرَ ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ (الشرح/٧ ـ ٨) ، « ثلاثُ دعواتٍ مستجاباتٌ لا شكَّ فيهنَّ : دعوةُ المسافرِ ، ودعوةُ الوالدِ لولدِه ، ودعوةُ المظلومِ » ، « ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم :

الصائمُ حين يُفطِرُ، والإمامُ العادلُ ، ودعوةُ المظلومِ ، يرفعُها اللهُ فوق الغمامِ ، فيفتحُ لها أبوابَ السماء ، ويقولُ الربُّ: وعزّتي لأنصرنَّك ؛ ولو بعد حين » ، « إنَّ للصائمِ عند فطرِه دعوةً لا تُردُّ » ، ومن الأدعيةِ المستجابةِ دعوةُ المسلمِ لأخيه المسلمِ في غَيبتِه ، فقد رويَ عنه ـــ عليه الصلاةُ والسلامُ ـــ أنّه قـــالَ : «إنَّ أسرعَ الدعاءِ استجابةً دعوةُ غائبٍ لغائبٍ ، ومن سرَّه أن يستجيبَ اللهُ له عند الشدائدِ والكُرَبِ فليكثرِ الدعاءَ عند الرخاءِ» ، قال أبو عبيدةَ : بلغني عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ : « تضرَّعوا إلى ربِّكم ، وادعوه في الرخاءِ ؛ فإنَّ اللهَ قالَ : من دعاني في الرخاءِ أجبتُه في الشدّةِ ، ومن سألني أعطيتُه ، ومن تواضـــعَ لي رفعتُه ، ومن تضرّعَ إليَّ رحمتُه ، ومن استغفرني غفرتُ له » ﴿ وَمَا تُقَـــدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (المزمـــل/٢٠) ﴿ وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُـــوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة/٢٨١) ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور/٣١).

فهرس

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٢
٢	ذكر الجنة	٣
٣	ذكر النار	١٠
٤	من مشاهد يوم القيامة	١٧
٥	بين الخوف والرجاء	٢٥
٦	من شروط الصلاة : الوضوء	٣١
٧	الغسل من الجنابة والتيمم	٣٩
٨	من شروطِ الصلاةِ : دخولُ الوقتِ	٤٥
٩	من شروط الصلاة : اللباس الطاهر الساتر	٥٢
١٠	من شروط الصلاة : المكان الطاهر ، واستقبال القبلة ، والنية	٥٨
١١	الصلاة وكيفيتها	٦٤
١٢	خير يوم طلعت عليه الشمس	٧١
١٣	من آداب الجمعة	٧٧
١٤	المساجد	٨٣
١٥	من آداب الصوم	٩٠

م	الموضـــــــــــــوع	الصفحة
١٦	فضل رمضان	٩٨
١٧	وداع رمضان	١٠٤
١٨	ما يؤمر به من أراد الحجّ	١١٢
١٩	عشرُ ذي الحجّةِ	١٢٠
٢٠	أركانُ الحجِّ	١٢٧
٢١	الضحايا	١٣٥
٢٢	من مزايا شهر محرم	١٤٣
٢٣	الحضّ على الزواج والترغيب فيه	١٤٩
٢٤	القضاةُ ثلاثةٌ	١٥٧
٢٥	شراك أو شراكان من النار	١٦٢
٢٦	قول الكذب وشهادة الزور	١٦٩
٢٧	التحـــــذير من الغفلة	١٧٦
٢٨	فتنة الحياة الدنيا	١٨٤
٢٩	إرشاداتٌ وتوجيهاتٌ	١٩٢
٣٠	الحسد	١٩٨
٣١	الكِبْر	٢٠٥
٣٢	بالشكرِ تدومُ النِّعمُ	٢١٢
٣٣	فيا شباب الإسلام	٢١٩

م	الموضـــــــــوع	الصفحة
٣٤	الاتحاد	٢٢٥
٣٥	من غُررِ الأيامِ وأبرزها	٢٣١
٣٦	سورة ق	٢٣٦
٣٧	خطبة مأثورة (١)	٢٤١
٣٨	خطبة مأثورة (٢)	٢٤٤
٣٩	الدعاء	٢٤٧
٤٠	الفهرس	٢٥٥